العرب أمام المحنة

في الساعة السادسة (بتوقيت غوينتش) من صباح يوم الاثنين ، الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، بدأ الجيش الاسرائيلي عدواناً عسكرياً شامــلا على البلاد العربية المجاورة لفلسطين المحتلة : مصر — الأردن — سورية .

حدث ذلك ، بينما كان ممثلو اسرائيل وبريطانيا والولايات المتحدة يشكون الجمهورية العربية المتحدة الى مجلس الأمن ، بزعم انها اغلقت خليج العقبة العربي في وجه ملاحة اسرائيل ، ويطلبون الى مجلس الأمن ان ينتصر لهم .

حدث ذلك ، بينما كان كبار المسؤولين في الولايات المتحدة وبريطانيا واسرائيل ، يعلنون أمام مجلس الأمن ، برياء مابعــده رياء ، ان بلادهم حريصة على السلام في الشرق الأوسط ، وانها لن تبدأ عدوانا على بلد عربي .

ووقع العدوان الاسرائيلي مع ذلك . ولم يكن ليستهدف مجرد اعادة فتح خليج العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية . لم يكن ليستهــدف مجرد الاستيلاء على بعض الاراضي العربية الجديدة ، وتشريد أعداد جديدة من المواطنين العرب من ديارهم .

ان العدوان الاسرائيلي الجديد هو جزء من مشكلة وجود اسرائيل

ذاتها فوق الارض العربية . ووجود اسرائيل في وطننا العربي يرتد بدوره الى مشكلتنا نحن العرب مع الاستعمار والامبريالية العالمية .

فمنذ بدأت ارادة التحرر العربي تدك قواعد الاستعمار من وطننا أخذت قوى الامبريالية تحاول الالتفاف على كفاح شعبنا . ومنذ أخـــذ الشعور القومي ينمو ويتفتح في نفوس ابناء الامة العربية — وقد تجلى في ايمانهم بأن الأمة العربية واحدة ، وأن على كل عربي ان يناضل حتى النفس الاخير في سبيل الوحدة العربية الشاملة والتحرر العربي معـــاً — منذ ذاك الحين ازدادت حملات الاستعمار على الامة العربية ضراوة وشراسة .

ان الاستعمار ، والامبريالية ، والصهيونية — وكلها مترادفات بالنسبة للعرب — تظن ان باستطاعتها ايقاف الارادة العربية عن مواصلة تقدمها ونهضتها .

وهي تظن ان القرن التاسع عشر مازال يمتد الى النصف الثاني من القرن العشرين .

والامبريالية خاصة لاتهمها اسرائيل والصهيونية الا بقدر ماتكونان أداة للعدوان على العرب واعاقة تطورهم .

فمعركتنا ، نحن العرب ، ليست مع اسرائيل وحسب ، بل هي اولاً مـــع من انشأوا اسرائيل . وانتصارنا ، نحن العرب ، على الامبريالية العالمية ، التي تستمر في نهب ثرواتنا ، وسرقة جهودنا واغتصاب أجزاء من أرضنا ، والابقاء على تجزئتنا الى أقطار ودول ، ومحاولة طمس هويتنا ، هو بالوقت ذاته تصفية للوجود الاسرائيلي فوق الأرض العربية . ان الأمبريالية العالمية لا تميز بين فئات الأمة العربية ، لذا كان على الشعب العربي في جميع أقطاره ، ألا يدخر جهداً في سبيل توحيد قواه وطاقاته ، وبأقصى السرعة لمواجهة اسرائيل ومن وراءها ؛ فالمعركة بدأت في الخامس من حزيران ،

إلا انها لم تنته ، وهي لن تنتهي الا حين تستعيد الأمة العربية كامل حقوقها في أرضها وتحرر نفسها الى الابد من الاستعمار العالمي .

لقد احتلت قوات العدوان الاسرائيلي ، في هذه المعركة ، بعض أجزاء من الأرض العربية ، وطردت بنتيجة هذا العدوان ، أعداداً جديدة من أبنائنا وأطفالنا وإخوتنا من بيوتهم . وإذا كان على الضمير العالمي أن يستيقظ لنجدة المعتدى عليهم ، وإدانة المعتدين ، فان على العرب جميعاً ، أن يدركوا اليوم وأكثر من أي وقت مضى ، بأن دحر العدوان ، وإعادة الأرض السليبة ، وقبر الاستعمار والأمبريالية ، هي مسؤوليات عربية بالدرجة الاولى ، تقع اول ماتقع على عاتقنا نحن العرب ، وتتطلب تضامناً عربياً يشمل جميع المستويات ، بدءاً من تنسيق الخطط والجهود المتفرقة وحتى إقامة الدولة العربية الواحدة . وفي يقيننا أن وحدة الشعور العربي بالمأساة والخلاص منه ، ووحدة النضال لدى جميع أبناء شعبنا ، لم تبلغا في شدتها وغناهما ما بلغتاه في هذه الأيام . لقد أضحت الوحدة العربية مطلب جميع أبناء شعبنا وهي بلا ريب المقدمة الأكيدة لتوحيد الارادة العربية ، والثروات العربية والسواعد العربية ، والسلاح العربي ، وكل ما يملكه شعبنا ، ووضعه في خدمة التحرر العربي النهائي من الأمبريالية والاستعمار واسرائيل .

« المعرفة »

الاشتراكية والوحدة العربية (*)

سليمان الخش

لقد انطلق الفكر العربي الثوري من الانسان .

الانسان كان عندنا (مصدر القيم) ؛ هو مبدعها ، وعلى أساس مصالحه وتطلعاته ، تقيم الأشياء .

فليس هنالك حق مطلق يمكن التشبث به ، ولا باطل مطلق يجب محاربته ، إلا هذا الواقع الذي يعيشه الانسان ، بما فيه من عوامل قوة وضعف ، وإلا هذا الانسان الذي يبحث عن سعادته ، بما فيه من نواقص ومميزات .

إن الفكر العربي الثوري ، الذي تبنى (واقع الانسان العربي) كان يستشرف الواقع الانساني ، لأنه ورث عن ثقافته وحضاراته ، الأصالة التي

(*) ملخص البحث الذي قدمه الاستاذ سليمان الخش وزير التربية في الجمهورية العربية السورية لندوة الاشتراكيين العرب المنعقدة في الجزائر بتاريخ ٢٢ - ١٩٦٧/٥/٢٩ .

تحول بينه وبين إضاعة جهوده ، على أبواب المواقف السياسية الطارئة ، التي تلهيه عن القطاع الانساني الذي يجب أن يصرف اليه همه ، كما ورث عن ثقافته وحضاراته ، أن يضع نفسه في مجرى التقدم التاريخي الانساني العام ، في الوقت الذي يقتضي التقدم الانساني منه ، أن يكوّن عنصراً فعالاً فيه .

لذلك فقد كان (الواقع الاجتماعي العربي) و (الواقع الاجتماعي الانساني) هما وحدهما (الحقيقة) في نظر الفكر العربي الثوري ، وكان (البحث العلمي الموضوعي) ، المتبدل المتطور ، تبعاً لتبدل المجتمع العربي ، والمجتمع الانساني ، وتطورهما ، هو (الوسيلة الثورية) لكل حل ثوري ، يمارسه الفكر العربي الثوري ، وهو يحاول الارتفاع بالمجتمع العربي ، والمجتمعات الانسانية الى صعيد الحرية والتقدم والسعادة .

وعلى هذا أقام العرب الثوريون نظريتهم الثورية ، كما أقاموا عملهم النضالي ، فكانت (نظرية ثورية مرنة) وكان (عملاً نضالياً متطوراً) تبعاً لمقتضيات الثورة العربية ، والثورة العالمية .

لقد رأى العرب الثوريون أنفسهم ، أمام واقع انساني ، وواقع قومي ، فيه كثير من الاختلاطات والتطورات ، التي تفرض عليهم إمعان النظر طويلاً ، قبل البت في الأسلوب النضالي ، الذي يجب أن يمارسوه .

فالعالم ، بانقسامه الشهير ، الذي أطال الناس في الحديث عنه ، قد أخذ يقترب من بعضه رويداً رويداً ، ليقوم هنالك انقسام آخر .

والمجتمع العربي ، بكل ماورثه من عوامل الضعف ، أخذ يتفتح على قضايا جديدة ، ليست قضايا العالم في القرن التاسع عشر ، عصر تفتح الاشتراكية ، وليست غيرها تماماً ، كما أنها ليست قضايا المعسكر الاشتراكي ، في النصف الأول

أو النصف الثاني من القرن العشرين ، كما أنها ليست نقيضها تماماً ، كما أنها ليست قضايا الكثير من دول العالم المستضعف تماماً ، وان كانت تشابهها وتقترب منها في كثير من الاسباب والنتائج والتطلعات .

لذلك فقد كان عسراً جداً على الفكر العربي الثوري ، أن ينظر للمجتمع والتاريخ في قديمه وحديثه ، كما ينظر عالم الرياضيات الى معادلة حسابية . لقد رأى أنه قد مضى ذلك الوقت الذي كانت فيه الفلسفة تعطي نتائج استباقية كلية ، تفسر لصالحها الأفكار ، وأصبح أميل لتقبل معطيات التجربة اليومية ، منه لقبول الأفكار العامة ، والمبادىء الشاملة ، خاصة في الميدان الاجتماعي الكثير التعقيد ، الذي تتراكم فيه رواسب قرون وأجيال ، وتعمل في خلقه ثقافات شتى ، وظروف موضوعية كثيرة .

ولعل التفكير الثوري العالمي ، قد بات أبعد أبعد مايكون عن تقبل الأفكار الجاهزة ، المتكاملة ، التي تقدم لمشكلاته حلولاً آخذاً بعضها برقاب بعض على شكل هرمي ، اذا انتقضت قاعدته هوت قمته ، ولم يعد بمقدور التفكير الثوري الحديث ، أن يتقبل بمناقشات مبدئية ، نظرية بكاملها ، أو أن يرفضها بكاملها ، فلقد لعب تعلق الفكر الثوري الحديث بالحرية ، دوراً كبيراً في تكوين العقل الحديث ، فالانسان المعاصر الذي مازال يناضل بعناد واصرار ، لتحرير جسده من سيطرة الطبيعة والانسان ، هو نفسه الذي ناضل ويناضل للانعتاق من عبودية الأفكار التي تفرضها الثقافات المختلفة عليه ، واذا كان طبيعياً في هذا العصر ، أن يلغى الرّق الجسدي ، فقد أضحى طبيعياً أيضاً الغاء (الرق الفكري) .

ان عملية (الإلحاق الفكري) الاستعبادية ، التي رفضها الفكر الثوري

الحديث ، كانت نقطة تحول في تاريخ البشرية ، تشبه في اهميتها انفصال الانسان من عالم الحيوان ، في التأثير على مجرى الحضارة والتاريخ ؛ ولأجل هذا ، فقد انطلقت من اكثر اقطار العالم ، مبادىء (المراجعة) الدائمة ، لكل الأفكار والمبادىء القديمة والحديثة ، على ضوء الواقع الانساني ، والواقع القومي ، المتجددين ، والمتطورين .

لقد بات عسيراً جداً ، على أية فكرة قديمة او حديثة ، او اي نوع من انواع العقائد القديمة والحديثة ، أن تمارس الجبروت الذي كانت تمارسه في الماضي ، وبات طبيعياً أن تكون كل الافكار والعقائد القديمة والحديثة ، مجرد (دليل عمل) للفكر الثوري المعاصر ، يعطيها حقها من الدراسة المفيدة ، في اصلاح الواقع ، ورفعه ، وفي تكوين أفكار وعقائد جديدة ، متلائمة مع الاوضاع الانسانية الجديدة ، ومع احلام البشرية في الحرية والتقدم والسعادة .

لقد اصبحت الحرية الفكرية الثورية ، باب حقبة جديدة في التاريخ الانساني ، عندما رأى الثوريون في العالم أن معالجة الواقع الجديد ، بأفكار ملائمة جديدة ، هي افضل في تقدم التطور الانساني ، من اتخاذ التبريرات والمخارج ، للأفكار القديمة .

ان احترام انسانية الانسان ، هي « الثورة » الحقيقية التي عمت المجتمعات البشرية ، هذه الأيام ، لذلك فقد كان لا بد في تجريد الانسان نهائياً ، من تحريره من أية أفكار استباقية ، واعطائه الفرصة لكي يمارس انسانيته كاملة .

فلقد اصبح واضحاً لدى الفكر الثوري الحديث ، أنه ما من فكرة يمكن أن تكون صالحة لكل زمان وكل مكان وكل الناس ، ذلك لأن الحياة تعني : الحركة ، والحركة تنفي الثبات ، وبانتفاء الثبات مع الحياة ، ينتفي الجمود

حول وضع معين ، وبانتفاء الجمود ، تولد ظروف جديدة ، جيدة او رديئة ، يتولد منها افكار جديدة ، جيدة او رديئة ، منسجمة مع طبيعة الحركة : فالحركة الانسانية تولد افكاراً تقدمية ، والحركة الرجعية ، تعطي افكاراً رجعية ، أما الثبات : فانه ليس غير الموت .

ان الذين يدعون الثبات لمبادئهم وافكارهم ، ويتعبدون لها امام الناس ، على أنها قدس الأقداس ، الذي يصلح لكل زمان ومكان ، انما يعلنون على الناس أن ما يتعبدون لأجله قد مات .

ان العقل الثوري لم يثر بالقيود التي وضعها الانسان في رجل اخيه الانسان ليبقي تلك القيود التي وضعها الانسان في عقل اخيه الانسان . فلقد استبدل العقل الثوري الحديث ، الفكر المتجمد بالفكر الحي الدافىء ، والواقع الاجتماعي القديم ، بالواقع الاجتماعي الجديد ، والافكار الاستباقية القسرية الماضية ، بالافكار الاستنباطية المرنة المعاصرة ، واعتبر التراث البشري الفكري والحضاري ، قنديلاً يستضيء به في دروب الحياة المعاصرة ، ونفى عنه صفة « نار المجوس » التي جعل منها اصحابها موضع « عبادة » لا أداة « إبصار » وهداية .

* * *

ان الانسان الذي ما زال يناضل لجعل « الارض : جنة الحرية والسعادة » ، قد فتح قلبه وعقله للمبادىء الجديدة التي نادت بها المذاهب الاشتراكية الأوربية ، التي اعتبرت الانسان ، اي انسان ، متساوياً في قيمته الانسانية مع اخيه الانسان ، والتي شرعت تخطط لهذا الكائن الانساني ، على أنه (مركز القيم ومنطلقها) في إطار من العدل الاجتماعي ، القائم على كفايات العمل والانتاج ، والمناهض لكل استغلال فردي او طبقي او قومي .

ومن خلال الزحف الانساني الرهيب، حول المبادىء الانسانية الاشتراكية الجديدة ، أخذت تتهاوى معاقل البورجوازية في العالم ، في الوقت الذي أخذت فيه « القوالب المذهبية الاشتراكية » ، تتنكر لاستباقاتها ، منسجمة مع واقع الزحف العالمي نحو الاشتراكية .

فلقد ميز (الزحف الاشتراكي) في العالم ، بكل بساطة الواقع ووضوحه ، بين « الاشتراكية » كحركة ثورية انسانية ، تعطي للانسان مداه الانساني ، وبين « القوالب الفكرية » للاشتراكية ، عندما اعلن هذا الزحف الانساني ، رفضه لكل الاطر الاستباقية ، التي كان بالامكان أن تحيله من « ثائر » الى « متعبد في محراب الثورة » .

ان « الثورة الاشتراكية » تعصف بالعالم ، ولكن ، هل هي ثورة البروليتاريا الصناعية في المدن الأوروبية الكبرى . . ! أم هي ثورة الفلاحين والبروليتاريا في الاتحاد السوفياتي ، وثورة الفلاحين المتمردين على البروليتاريا في الصين ، وثورة المضطهدين المحرومين في آسيا ، وافريقيا ، وأمريكا اللاتينية ، وثورة التخلف على التقدم ، وثورة من لايملك شيئاً على من يملك كل شيء ، في كل أنحاء العالم .

لم يعد هاماً أبداً في نظر الثورة العالمية ، أن تكون لها قوالب فكرية محددة ، وانما الهام في نظرها ، أن الثورة الاشتراكية تتقدم وتنتصر ، وأن أية صيغة فكرية ، لم تستطع أن تقنع الثورة الاشتراكية في العالم ، بالتمهل حتى تنضج المراحل ، التي رسمها الفكر الاستباقي الثوري في القرن التاسع عشر .

ان الفكر الثوري العالمي ، الذي يقف بالمرصاد ، هـــذه الأيام ، للامبريالية الدولية ، لم يستطع أن يقف عند حدود الصراع الذي كان دائراً بين البروليتاريا الصناعية ، والبورجوازية ، في المدن الأوروبية ، في القرن التاسع عشر ، لأن المرحلة التاريخية التي تمر بها البشرية اليوم ، قد أسقطت من حسابها إلا قليلا ، ذلك الدور الهام الذي كانت تعلقه الأفكار الاشتراكية الأوروبية في القرن التاسع عشر ، على البروليتاريا الصناعية الأوروبية ، في اشعال الثورة العالمية ؛ كما أسقط من حسابه أكثر الأفكار الاستباقية الاشتراكية الماضية ، التي فاتها الزمن . ذلك لأن الفكر الثوري العالمي قد لاحظ بجرارة ليست قليلة ، ذلك الدور « الانتهازي » الذي تلعبه البروليتاريا الأوروبيــة في حركة الثورة العالمية ، وهي متشبثة بذيول أفكار أكل عليها الدهر .

لقد تطورت الأحداث في العالم ، بعد القرن التاسع عشر ، تطوراً مغايراً لكل التنبؤات الاستباقية الاشتراكية القديمة ، وذلك تحت تأثير النضال اليومي الذي مارسته النقابات العمالية ، ونتيجة للمخاوف التي أصابت البورجوازية من جراء تعاظم خطر البروليتاريا عليها ، وخاصة بعد انتصار الثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي وفي الصين الشعبية ، وانسجاماً مع الأفكار الصهيونيـــة التجارية المرابية ، التي نقلت مركز الثقل المالي العالمي ، من (المصنع) ، الى (المصرف) ، والتي أصبحت ترى في (قوة البروليتاريا الشرائية) دعماً لمركزها التجاري ، بعد أن كانت المصانع واصحابها تتجه الى المزيد من استثمار البروليتاريا وإفقارها .

ونتيجة لذلك ، فقد أحل البورجوازي الاوروبي الامريكي ، بعض النظم الاشتراكية ، محل الثورة الاشتراكية البروليتارية ، وأصبح الوضع العمالي

البروليتاري ، في العالم ، ليس مائعاً فحسب ، بل انقلب الى مايشبه (الانتهازية) ، التي تحاول الاستفادة من ميزان النظم البورجوازية ، والابقاء عليهـــا ، لتظل البورجوازية حاملة خطيئة الاستغلال العالمي ، في حين تظـل البروليتاريا تعيش عيشة رغدة في ظل ذلك الاستغلال الأمبريالي العالمي .

إن العالم كله ، يعاني اليوم مشكلة ناجمة عن هذه المشكلة ، التي تهيمن على البروليتاريا في العالم الرأسمالي ، بالاضافة الى المشكلة الأساسية القائمة بين العالم المستضعف والعالم المتفوق ، والى المشكلات الخاصة بكل شعب من الشعوب . وهي مشكلة مغايرة تمام المغايرة ، للمشكلات التي واجهها الفكر الاشتراكي في القرن التاسع عشر ، لذلك كان لابد من مواجهتها بفكر ثوري جديد ، ينبري لمعالجة الواقع الانساني ، والواقع القومي ، لكل شعب من الشعوب .

إن الأمبريالية المعاصرة ، المستفيدة الى أقصى الحدود ، من الفكر اليهودي التجاري المرابي ، لم تعد ضيقة النظر ، كما كان عليه البورجوازي المعاصر لبزوغ الحركات الاشتراكية ، في أوروبة وأمريكا ، فقد عملت ـ إلا قليلاً ـ على سحب خوذات الجنود الشقر المستعمرين من العالم ، وأحلت محلهم (البنوك) والوكالات ، لتجعل من (القطع النادر) المحور الأساسي في الربط بين حقول ومناجم العالم الزراعي المتخلف ، ومصانع العالم الأمبريالي البورجوازي المتقدم ، وأصبحت الكرة الأرضية جميعها ، سوقاً تجارية لعملية مصرفية أممية أمبريالية متشابكة واحدة ، في الوقت الذي رأت في قدرة (البروليتاريا) الشرائيـة ، المقيمة في بلادها ، وقدرة الفلاحين الشرائية ، المقيمين في الدول المتخلفـة ، شيئاً أساسياً للسيولة المصرفية ، ولانتاج المصنع ، وللخلاص من الاضطرابات التي يجرها الحرمان .

إن (البروليتاري الصناعي) مشارك اليوم ، مشاركة اساسية في العملية الأمبريالية ، بعد أن أخذت الأمبريالية الأمية بيده ، فطورته ثقافياً ، وأغنته عن الحاجة اليومية ، وحددت له ساعات عمله المأجورة ، وقدمت له أجور الأعمال اضافية يتقاضاها ، وضمنت له عجزه ، ومرضه ، وشيخوخته ، وإصابات العمل ، وسمحت له بانتخاب ممثليه في المجالس النيابية ، وشجعته على المشاركة في اسهم المصارف والمصانع التي تمتلكها .

ان البروليتاريا ، تعلم اليوم ، أن الميزات الحياتية التي وصلت اليها ، لم تجنها عن طريق (العمل) بمقدار ماجاءتها من العملية الامبريالية نفسها ، كما تعلم ايضاً أن انهيار الأمبريالية الأمية ، سيجيء بعده ضرب لكثير من المميزات الحياتية التي تصيبها الآن .

لذلك فقد اصبح سهلاً في التحليل الواقعي والاستدلال ، معرفة اسباب تلك المواقف المائعة ، والرديئة احياناً ، التي وقفتها الطبقات الكادحة الأوروبية الاميركية ، وطلائعها الفكرية الممثلة لها ، من قضايا الثورة العالمية ، وتحرر الشعوب ، ومعرفة الاسباب التي تورثنا الحرقة والالم ، نحن العرب الثوريين ، عندما نلاحظ وقوف كثير من الاحزاب الاشتراكية الأوروبية الاميركية ، الى جانب اسرائيل ، ضد تطلعات العرب الثورية ، في الوقت الذي كانت فيه اسرائيل مخفراً أمامياً في بلاد العرب ، لحماية المصالح الأمبريالية الأمية .

* * *

واذا كانت الامبريالية الدولية ، قد استطاعت بمخططاتها الاقتصادية التجارية اليهودية المرابية ، ان تصرف البروليتاريا العالمية ، عن قضيتها الكفاحية

الانسانية الكبرى ، الى نضال موقت في سبيل الأجور وساعات العمل، بما وفرت لها من اسباب الحياة اليومية المتصاعدة الجودة ، فان هذه الامبريالية الدولية ، قد استطاعت ، بقسوة العزل الاقتصادي، الذي مارسته على دول المعسكر الاشتراكي في الماضي ، ان تعبث بالأفكار الثورية العالمية، وان تحصر النزوع الثوري العالمي، في اطر من الدول الاشتراكية الوطنية .

ان (نظرية التعايش السلمي بين الانظمة المختلفة) التي حملها (خروتشوف) للعالم ، كانت إيذاناً بأن (العزل الأمبريالي الاقتصادي) للمنادين بها ، قد اخذ يتقلص ، وانه بالامكان اقامة مصانع امبريالية في اية جهة من جهات المعسكر الاشتراكي ، وان باستطاعة هذا المعسكر ، ان يستفيد من المواد الخام في الدول التي كان محرماً عليه الاستفادة من خاماتها في الماضي ؛ كما كانت هذه النظرية، بمثابة اعلان عن نزول (الاقتصاد الاشتراكي) الى دول العالم ، بغير الشروط التي تحدثت عنها المذاهب الاشتراكية في القرن التاسع عشر .

لقد كان المفكرون الاشتراكيون في القرن التاسع عشر ، يتحدثون عن اقتصاد اساسه (العمل) لا العروض والطلب ، قائم على التبادل في المنافع ، لا على الربى الدولي .

أما الآن ، فقد توحدت شروط الاقتصاد في العالم ، وان كان هنالك اختلاف بين اقتصاد امبريالي ، نزاع الى ربط السياسات الدولية به ، واقتصاد اشتراكي ، يرى في حرية العالم السياسية ، كسباً لانتشاره وتفوقه .

* * *

ان العرب الثوريين ، يدركون اليوم مواقع اقدامهم من (الثورة العالمية) بشكل واضح وجلي ، واذا كان بعض منهم قد تعود على أسلوب معين

من الكلام ، لا يستطيع تبديله ، فان هذا البعض ، يدرك في قرارة نفسه تفاصيل الأمور ، بشكل واضح ، وإذا كان بعض منهم آخر ، قد استقامت أموره على أن يتكلم في منتدياته الخاصة ، ووراء الكواليس ، كلاماً غير الكلام الذي يعده للتصدير ، فان هنالك جمهرة من العرب الثوريين ، الذين يفضلون أن يتعاملوا مع الاشتراكية في العالم ، على أساس الوضوح ، لأنهم يقدرون أن كل من له مساس بعلم المجتمعات ، يدرك جيداً التسلسل المنطقي لكل المعطيات السياسية والاقتصادية في العالم ، وهو لأجل هذا يقدر الموقف العربي الثوري الواضح ، ويتركه يمارس تجربته الخاصة ، وهو معجب بما يفعل .

ان اشتراكيي القرن التاسع عشر الاوروبيين ، الذين راقبوا بموضوعية بالغة ، مجتمعاتهم الصناعية المعقدة التركيب ، ووضعوا لها الحلول الناجعة ، لو كانوا يعيشون الآن معنا في الوطن العربي ، من العالم المتخلف ، وفي عصر الامبريالية الدولية التجارية الصناعية الشرسة ، لكانوا — في تاملاتهم الواقعية الاجتماعية — قد أدركوا أن (قضية الانسان الكبرى في هذا العصر هي التخلص من الأمبريالية) كما كانوا قد أدركوا من قبل ، أن (قضية الانسان الكبرى في القرن التاسع عشر هي التخلص من البورجوازية) . ولكانوا قد صرخوا في كل أرجاء العالم : ياشعوب العالم المتخلف : اتحدي ، كما كانوا قد صرخوا في الماضي : ياعمال العالم اتحدوا .

لقد أدرك العرب الثوريون ، أن (التحرر من الامبريالية الأممية) ، لايحتاج الى فلسفة ، بمقدار مايحتاج الى تخطيط .

فلقد فلسف علماء الاجتماع في الماضي، حرية الانسان الفكرية، وحريته الاقتصادية والاخاء الانساني، ووضع الاقتصاد في ملكية الجماهير الكادحة، لمنع استغلال الانسان لأخيه الانسان، وقالوا بالعدل الاجتماعي، حتى أدركوا في النهاية، أن (الانسان الحر السعيد) هو هدف التطور الاجتماعي الانساني.

ان الوصول الى (الانسان الحر السعيد)، قد أصبح في طليعة مهات الشعوب المستضعفة، الواقفة في وجه الامبريالية الأممية؛ لا في بلدان العالم المتخلفة فحسب، بل في كل ارجاء العالم، لأن انسانية الانسان ملطخة بالوحل في بلدان العالم المستضعف، بينما هي مهزوزة الضمير بين بروليتاريا العالم المتقدم، في الوقت الذي تعاني فيه أمراض الغابة في جو الامبريالية الدولية.

واذا كان لابد من الاجهاز على الامبريالية الامية، احتراماً لانسانية الانسان، أينما كان، فان على الشعوب المستضعفة ان تكون على صلة وثيقة بالشعوب الاشتراكية، لتظل وايامها في جوار عقائدي، يحول بينها وبين السير بعيداً في ميادين الاغراءات الامبريالية القاتلة من جهة، وبساعد الشعوب المستضعفة على بناء نفسها بناء اجتماعياً واقتصادياً من جهة ثانية، ويضعف الحاجة عندهـا للتعامل مع الرساميل والخبرات والآلات الامبريالية من جهة ثالثة.

على أن يكون في تخطيط الشعوب المستضعفة دوماً:

١ – ان تتحرر تحرراً سياسياً، ونهائياً، من السيطرة الامبريالية.
٢ – ان تتحرر تحرراً اقتصادياً، ونهائياً، من السيطرة الامبريالية.
٣ – ان تبني نفسها بناء ثقافياً شعبياً، متلائماً مع صالح الجماهير الكادحة، وخطة التنمية في البلاد.

٤ – ان تبني نفسها بناء اقتصادياً اكتفائياً ، جهد الامكان ، يغنيها عن الحاجة للاقتصاد الامبريالي .

٥ – ان تضع نصب عينيها ، ان انسانها القومي المنتج ، والانسان العالمي غير المستغل ، هو محور كل قيمة تسعى إليها ، لا الحزب ، ولا الطليعة ، ولا الفرد .

* * *

ان الانسان العربي الثوري ، الذي مازال ينظر الى وطنه العربي ، الممتد من الخليج الى المحيط ، نظرة حنين عاطفيةٌ تهز وجدانه القومي بعنف وحرارة ، والذي ينظر بمرارة وغصة الى تمزق هذا الوطن القومي في دويلات متفاوتة ، منقسمة ، متصارعة ، قد أخذ يدرك ادراكاً عاماً ، موضوعياً ، أن ضرورة قيام الدولة العربية الواحدة ، فوق تراب الوطن العربي الواحد ، ليس مجرد تلبية لرغبات عاطفية جارفة ، وانما هو عمل تحرري ثوري ، تمارسه الأمة العربية بغريزتها ، للوقوف في وجه الامبريالية الدولية ، قبل أن ينتقل هذا الاحساس الغريزي ، الى حيز الشعور الواعي ، المدرك لمسئولياته .

لقد أدرك الانسان العربي الثوري ، ذو الثقافة والوعي ، ان ماوصل اليه العالم الامبريالي من تقنية وسيطرة علمية واقتصادية ، وتقدم في السيطرة على قوانين الآلة والطبيعة ، لايمكن ان تصمد في وجهه إمارة او مملكة او جمهورية ، لاتستطيع أن تضع الآلة ، مهما علت امكاناتها المادية والحضارية والثقافية ، ومهما طال بتقدمها الزمن .

كما أدرك الانسان العربي الثوري ، ان هذه الأمة العربية الممزقة المقسمة ، انما أراد لها الاستعمار هذا المصير ، وتشبثت الامبريالية الامية بابقائها على ماهي

عليه لتظل عاجزة عن ان تصنع الآلة ، من جهة ، وعاجزة عن ان تحرر ثرواتها من السيطرة الامبريالية ، من جهة ثانية ، وعاجزة عن ان تحرر سياستها من الذيلية للسياسة الامبريالية ، من جهة ثالثة .

لذلك فقد كان (العمل الوحدوي العربي) ، عند الثوريين العرب ، مبدأً ثورياً اجتماعياً علمياً ، مضافاً الى الحنين الابدي ، القائم في وجدان كل عربي لأن يستطيع تفجير طاقاته الانسانية ، في مناخ امته ، التي تضمن له التفتح والازدهار والسعادة .

واذا كانت (الدولة العربية الواحدة) فوق تراب الوطن العربي الواحد، عملاً ثورياً ، مهدماً للامبريالية الدولية، في نظر الثائرين العرب، فإن في نظرهم ايضاً ، أن نهوض الشعوب المستضعفة بواجبات ايجاد كيانها القومي ، فوق تراب اوطانها ، انما هو ايضاً عمل ثوري ، معجل في وأد الأمبريالية الدولية ، والتخلص منها ؛ لأن الامبريالية الأممية ، تمارس في كل البلاد المستضعفة ما تمارسه فوق تراب الوطن العربي ؛ من تمزيق وتفسيخ ، لتظل قادرة على بسط نفوذها الاقتصادي والسياسي على العالم ، من جهة ، ولتظل هي نفسها القادرة الوحيدة على تطوير الآلة والحضارة والمستأثرة بخيرات هذا التطوير .

وفي الوقت الذي برزت فيه (الوحدة العربية) عملاً ثورياً واعياً ، في أذهان العرب الثوريين ، كانت الامبريالية الأممية ، تمارس التسلط السياسي والاقتصادي على الوطن العربي ، عن طريق الحكام الرجعيين من العرب ، والبورجوازيين الذيليين والاقطاعيين من حفدة الدايات والبابات والمماليك والبشوات والبكوات ، في الوقت الذي يعاني فيه الفلاح العربي ، والكادح العربي ،

والمثقف الثوري العربي ، والجندي العربي ، كل انواع التشويه ، والتفتيت ، والارهاب والحرمان .

ان القوى العربية الضالة ، المتعاملة مع الأمبريالية الدولية ، اقتصادياً وسياسياً ، كانت ومازالت تعمل ضمن التخطيط الاقتصادي والسياسي الذي رسمته الأمبريالية الأمية ، لابقاء الوطن العربي مجزءاً ، ولتعميق هذه التجزئة بين اقطار الوطن الواحد ، في محاولة امبريالية لئيمة ، لايجاد (أمم عربية) فوق أرض الوطن العربي الواحد ، والحيلولة دون امكان السعي نحو الوحدة العربية في المستقبل ؛ وذلك عن طريق خلق تناقضات اقتصادية ، بين اقطار الوطن العربي الواحد ؛ وربط هذه التناقضات بتناقضات سياسية اخرى ، وربطها جميعاً بكف (حوذي امبريالي) واحد ، يحسن كيف يحرك خيولاً متعددة ، لعربة واحدة ، في دروب الامبريالية الدولية .

لذلك فقد كان لابد من ضرب القوى الضالة ، ضربة قاضية ، ليستطيع الانسان العربي أن يكافح الأمبريالية الأمية وجهاً لوجه ، دون أن تستطيع اتخاذ (ترس) عربي يقيها الضربات المميتة .

لقد رفع العرب الثوريون ، شعار (حرب الطبقات) ، أسلوباً في عملهم النضالي ، لأنهم أدركوا أن الكفاح العاتي ، الذي يجب أن يدور بينهم وبين الأمبريالية الدولية ، لايمكن أن يتم الا مروراً بأوكار الخيانة والعمالة ، من الحكام والبورجوازيين والاقطاعيين والرجعيين ، الذين كونت منهم الأمبريالية الدولية ، طبقة متميزة باستسلامها للامبريالية ، واستغلالها وخيانتها للكادحين ، عن سائر أبناء الأمة العربية ، وفوق أبناء هذه الأمة .

وفي الوقت الذي استطاع فيه الكادحون ، في بعض الأقطار العربية ،

الوصول الى السلطة السياسية ، وقفوا وجهاً لوجه امام الامبريالية الأممية ، سياسياً واقتصادياً ، والى جانب القوى الاشتراكية في العالم ، سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، والى جانب كل الشعوب المستضعفة في العالم ، في معاركها التحررية ، من السيطرة الأمبريالية .

وفي الوقت الذي سيطر فيه الكادحون العرب ، على المقدرات السياسية لبعض الأقطار العربية ، وقفوا الى جانب الطلائع الثورية في الأقطار العربية ، التي مازالت تناضل بعناد في وجه الأمبريالية الأممية ، وحلفائها من اوكار العمالة والخيانة في الوطن العربي .

وفي الوقت الذي سيطرت فيه القوى المتحة ، في بعض الأقطار العربية ، على المقدرات السياسية في اقطارها ، أخذت تخطط لسياستها واقتصادها تخطيطاً اشتراكياً متكاملا مع سياسة واقتصاد سائر الأقطار العربية المتحررة ، لتدخل في تيار الوحدة العربية من بابه العريض ، كما أخذت تنمي امكاناتها الثقافية ، ومواردها الاقتصادية ، وتضع يدها على ثرواتها الوطنية ، لتدخل في تيار الثورة العالمية ، على الامبريالية الدولية ، من بابه العريض أيضاً .

ان الغد العربي ، الذي تبنيه زنود الكادحين من أبناء الأمة العربية ، قد صاغت خيوطه ثورة عربية اشتراكية ، عريضة الآمال ، في المساهمة ببناء الغد الانساني ، المتحرر من الاستعباد الفكري ، والاقتصادي ، والسياسي ، والذي يهيء للانسان ، أي انسان ، فرص الحياة الكريمة ، والوطن السعيد ، في ظل الإخاء الانساني ، والسلم العالمي .

تشي جيفارا

والحرب الثورية في كوبا

روبر ميرل
ترجمة د. يوسف شقرا

ان كوبا ، الأرض الاولى التي اكتشفها كريستوف كولومب في اميركا ، والمستعمرة الاسبانية منذ ذلك التاريخ ، قد تحررت من الدولة المستعمرة بعد حرب جد طويلة ودامية ،

(*) منذ حوالي شهرين صدر بالفرنسية الجزء الأول من مذكرات المناضل الكبير إرنستو تشي جيفارا Ernesto Che Guevara رفيق فيديل كاسترو في ثورة كوبا ؛ وعنوان هذا الجزء هو : «ذكريات من الحرب الثورية. Ernesto Che Guevara-Souvenirs de la Guerre Revolutionnaire - Editions François Maspero - Paris - 1967 » . قدم هذه المذكرات في نصها الفرنسي الكاتب الصحفي روبر ميرل Robert Merle وكانت مقدمته عرضاً لواقع كوبا قبل الثورة ، وايضاحاً لوقائع تلك الثورة ، وتفسيراً لانتهاء مهمة جيفارا الثورية في كوبا ، ليتمكن من الاسهام في ثورات تحررية اخرى تندلع الآن هنا وهناك في بلاد أمريكا اللاتينية . وقد رأت « المعرفة » أن تنقل الى القارىء العربي مقدمة هذا الكتاب ، لأهميتها وفائدة مطالعتها .

دامت مع فترات الانقطاع والهدنة الطويلة او القصيرة من عام ١٨٦٨ حتى عام ١٨٩٨ . وعندما هاجم الثوار القطعات الاسبانية عام ١٨٦٨ ، كان في كوبا استغلال مزدوج : فالاسبان كانوا يستغلون المواطنين الكوبيين وهؤلاء كانوا يستغلون بدورهم العبيد السود .

ولم تصبح الحرب في النهاية شعبية ، وتبدأ ملامح النصر ترتسم في الأفق الا يوم تحالف العبيد السود الذين حررهم الوطنيون الكوبيون مع اسيادهم القدامى ضد السلطة الاسبانية .

ويسجل عام ١٨٩٨ تاريخاً كان فيه الاسبان في حالة دفاع في كل مكان ، وعلى وشك الاستسلام امام الكوبيين . لقد استسلم الاسبان في الحقيقة ولكن بعد تدخل امريكي في الوقت الاخير . وكانت الولايات المتحدة الامريكية قد تنبأت منذ وقت طويل انه عندما تنفصل التفاحة الكوبية عن الشجرة الاسبانية فستسقط في حضنها . وعندما حل الوقت المناسب قررت الولايات المتحدة القيام بعمل اوسع بكثير من مجرد دعم بسالها ، فلقد أغرقت على التوالي اسطولين اسبانيين ونزلت في سانتياغو ، واستولت على الجزيرة ، واحتلتها عسكرياً لمدة اربعة اعوام .

وما من أحد يستطيع أن يصف خيبة الأمل والجراح التي مني بها الوطنيون الكوبيون من جراء هذا الاحتلال . فلقد أقدمت الولايات المتحدة الامريكية على سرقة النصر الذي أحرزوه ، اذ بعد أن حصلوا على الاستقلال بعد حرب استمرت ثلاثين سنة، وقعوا في الحقيقة تحت سيطرة احتلال رهيب .

ولقد أحدثت الولايات المتحدة الامريكية في كوبا لأول مرة مؤسسة اطلق عليها — وهي تحت نفوذها — اسم : المستعمرة الجديدة .

ومنذ عام ١٨٩٨ وهو تاريخ التدخل الامريكي حتى اول كانون الثاني «يناير» عام ١٩٥٩ وهو تاريخ انتصار الفيدليين (١) تعطي كوبا النموذج الكلاسيكي لدولة من امريكا اللاتينية تخنق فيها في المهد أية محاولة ثورية أوحتى أية محاولة اصلاحية بحركة تمرد « كوارتلازو » (٢) تصنعها الاجهزة السرية لأمريكا الشمالية والتي تهدف الى الاتيان بديكتاتور دموي مطيع الى رئاسة الحكومة .

وبتاريخ ١٠ آذار « مارس » ١٩٥٢ قلبت حركة تمرد من هذا النوع النظام

---

(١) نسبة الى فيديل كاسترو زعيم ثورة كوبا

(٢) Cuartelazo تمرد او عصيان

الجمهوري بتدبير من الجنرال باتيستا وباشتراك من الولايات المتحدة الامريكية . فلماذا تم ذلك ؟ إن السبب يكمن في وجود أمــل جدي في الاصلاحات الديموقراطية .

وفي الحقيقة ، إن « الحزب الصحيح » الذي كان في الحكم منذ عام ١٩٤٤ برئاسة غيراو سان مارتان لم يحقق أياً من الوعود التي أطلقها ، وأساء الى نفسه بالتنازلات التي قدمها . ولقد انفصل عن هذا الحزب رجل شريف دو شيباس عضو مجلس الشيوخ ، وأسس حزباً هو « الحزب القويم » لقي نجاحــاً كبيراً . وظل هذا النجاح الذي دفعته موجة شعبية عارمة يتزايد بعد انتحار شيباس .

واضحى من البدهي لدى جميع المراقبين ان رئيساً من الحزب القويم سيتسلم الحكم في انتخابات الرئاسة لعام ١٩٥٢ . ولو تم انتخابــه لكان من المحقق ان يضطر تحت تأثير الضغط الشعبي الى اصلاح الدولة ومحاولة تأكيد سيادة كوبا ازاء الولايات المتحدة الامريكية . ولكي تتجنب الاجهزة السرية الامريكية هذه التهديدات اثارت عملية باتيستا وتمرد ١٠ آذار ١٩٥٢ .

كان هــذا التمرد بالنسبة لكوبا خيبة أمل مريرة . واختفت المؤسسات الجمهورية من جديد حاملة معها حرية الصحافة والضمانات الفردية . وبدأت ديكتاتورية جديدة تتكون في الوحل والدولار والدم .

ولقد أسس عندئذ محام شاب عمره خمسة وعشرون عاماً هو فيديل كاسترو ، كان يقود الشباب من الحزب القويم ، ولكنه كان خائفاً على نزعة التريض لدى قادة الحركة مثلما كان خائفاً على جبن زعمائها ، أسس مع بعض اصدقائه في الخفاء حركة اطلق عليها فيما بعد اسم « حركة ٢٦ تموز (يوليو) » ، استهدفت القضاء على الديكتاتورية بقوة السلاح . ونجح فيديل كاسترو بعــد عام من التحضير في جمع ١٥٠ شاباً وتسليحهم وتدريبهم ، وفي بث روح بطولته وإيمانه فيهم ، وفي نقلهم بظروف من السرية المطلقة ، من هافانا الى سانتياغو كوبا حيث هاجموا فجأة ثكنة مونكادا .

فاذا تم لفيديل كاسترو النجاح فهدفه عندئذ الاستيلاء على مخازن الاسلحة وان لم يتيسر له البقاء في المدينة فيلتجىء عندئذ الى جبال سييرا مايسترا .

ان هذه السلسلة الجبلية الضخمة ، التي تعتبر أعلى سلسلة في كوبا ، تمتد ككتلة واحدة على طول البحر الكاريبي في منطقة جنوب غربي ولاية اورينت . وتؤلف بطولها البالغ ١٥٠ كيلو متراً وبعرضها البالغ ٣٠ كيلو متراً ، وبوعورتها وبوحشيتها، وبالغابات التي يصعب اختراقها مركزاً مثالياً للمقاومة السرية .

وفشل الهجوم ، وكان القمع دموياً . واستطاع فيديل كاسترو ان ينقذ حياته بمعجزة . وبعد ان حوكم وأدين مع ثلاثين من رفاقه سجن في معتقل جزيرة الصنوبر ، الى ان جرت الانتخابات العامة التي فرضها ضغط الرأي العام العالمي على باتيستا

عام ١٩٥٥ .. وما كاد الكونجرس الجديد ينتخب ، حتى صوت على عفو عام ، بيد انه ما ان خرج فيديل وصحبه من معتقل جزيرة الصنوبر حتى ادركوا خلال بضعة ايام ، ان كوبا اضحت باكملها سجناً ، فاختاروا المكسيك منفى طوعياً .

وبفضل الأسلحة التي جمعت من تبرعات الكوبيين الفيدليين في كوبا والولايات المتحدة الأمريكية ، قام فيديل خلال سنة وبسرية مطلقة بتدريب فئة صغيرة مكونة من ٨٣ رجلا على استعمال هـــذه الأسلحة . وفي هـــذا الوقت التقى بارنستو « شي » جيفارا . وكان « شي » — وهو الاسم الذي كان يطلق عليه في المقاومة السرية — طبيباً أرجنتينياً ، شارك في الثورة البائسة التي حدثت في غواتيالا ضمن صفوف الكولونيل آربنز . فالوطنية اللاتينية الامريكية ليست محلية ، وهي تتجاوز منذ زمن طويل حدود بلدها .

ان قرابة اللسان والثقافة والذكريات على مستوى القارة ، والمشاركة في الآلام والذل تحت السيطرة الأجنبية : اسبانية اولاً ، ومن ثم امريكية ، كلُّ ذلك يوضح ان الامريكي اللاتيني اذا شعر أنه ابن للبلد الذي ولد فيه فانه ليدرك ايضاً انه ينتمي الى مجموعة اوسع هي اتحاد الدول الأيبرية الامريكية مستقبلا ، هذا الاتحاد الذي تؤلف منظمة الدول الامريكية صورة ممسوخة عنه في الوقت الحاضر . لذا كان طبيعياً ان يمثل الوطني الكوبي المنفي جوزي مارتي José Marti مصالح الارجنتين والاوروغواي والباراغواي في نيويورك عام ١٨٩٠ . وان يطلق فيديل كاسترو الثاري بوغوتا مع الثائرين الكولومبيين ، وأن ينضم الطبيب الارجنتيني ارنستو جيفارا الى صفوف الثائرين الكوبيين عام ١٩٥٦ .

وفي ٢ كانون الاول « ديسمبر » ١٩٥٦ ، نزل الفيدليون في كوبا من مركب صغير وهزيل وقديم ، جاء في قلب العاصفة ، وفي ظروف رهيبة ليجتاز البحر الكاريبي . وهنا تبدأ ملحمة سييرا مايسترا الخارقة . فبعد ان كادت تقضي عليهم المعركة الفتاكة الاولى ، وبعد أن فرقتهم ، تجمعوا وتلاقوا في المكان الذي اتخذوه مقراً للمقاومة السرية ، بعد أيام من السير المضني . كانوا عشرين شخصاً او اقل ، جائعين ، مرضى وجرحى ، عزلاً تقريباً من السلاح يحيون حياة تائهة قلقة وسط فلاحين مترددين . وبعد عامين سيطر الجيش الثائر على الجزيرة بعـــد ان دحر جيشاً محترفاً قوامه ٥٠٠٠٠ رجل ، كان قد جهزه اسياده الامريكيون بسخاء بالرشاشات والمصفحات والطائرات .

إن قصص « شي » لاتؤلف شهادة فريدة عن حرب المقاومة وحسب ، ولكنها تقدم لنا السيرة الذاتية المؤثرة لرجل سيتسلم في النهاية قيادة منطقة ومن ثم قيادة فرقة ،

بعد ان انضم الى الثوار كطبيب ، وليصبح مع راوول كاسترو ، وكاميلو سيانفويغوس وجوان آميدا من افضل مساعدي فيديل .

قال جان بول سارتر في كتابه « عاصفة على السكر » أنـه قد أخذ برومانتيكية « شي » . ولكن ذلك لايعدو كونه ملاحظة من اوروبي استطاع ان يكونها سارتر عن معظم الثوريين في امريكا اللاتينية ابتداء من جوزه مارتي . ان للتمرد الامريكي اللاتيني اسلوباً يختلف كلياً عن الاسلوب المقتضب والواقعي للثائرين الماركسيين .

انه يستند الى مطلب معنوي عال ، ويطلق ، قبـل كل شيء ، ملكات الفرد الانفعالية. واذا أردنا أن نأخذ فكرة عنه ، فينبغي ان نذكر روبسبير ، وسان جوست أو بالأحرى شخصية انجولراس في « البؤساء » . فهي شخصيات صافية ومضحية .

لقد ضحى جوزه مارتي بنفسه وهو يطلق النار ممتطياً حصانه في الطليعة على عدو يفوقه عدداً ، كما اطلق ادواردو شيباس Eduardo Chibas على نفسه رصاصة في بطنه كيا يوقظ كوبا ، وخوص آبل سانتا ماريا Abel - Santamaria في المستشفى المدني بمونكادا ، وقاوم حتى الرصاصة الاخيرة . لنقرأ رسالة « شي » الوداعية الى فيديل عندما ترك كوبا بتاريخ الاول من نيسان (ابريل) عام ١٩٦٥ ، « **إنني أتخلى كلياً عن مهامي في قيادة الحزب وعن منصبي كوزير ، وعن رتبتي كمقدم ، وعن وضعي ككوبي .. لقد أزفت ساعة افتراقنا . وينبغي أن تعرف انني أفعل ذلك بمزيج من الرضا والألم. فأنا أترك هنا أطهر جزء من آمالي كمؤسس ، وأعز الكائنات التي أحبها . . . انني لا أترك شيئاً لأطفالي وزوجتي ، ولا آسف على ذلك ، بل ان في هذا سروراً لي** » فماذا يفعل هذا الرجل في اللحظة التي يذهب فيها الى « ميادين جديدة للمعركة » ؟ الجواب صريح : انه يتعرى . ان شأنه شأن القديس الذي قرر ان يموت في الدنيا كي يحيا في الآخرة ، فهو يقتلع من نفسه جميع المصالح الدنيوية واحدة تلو الاخرى ، بل هو يكاد يشعر بالفرح لهذا الاقتلاع .

ان صراحة « شي » وتواضعه يعودان الى الالتزام المعنوي ذاته ، وهو بشكل بارز لايقص في كتابه عن الحرب الثورية مآثره ، ولكنه يعطينا قائمة بالأخطاء . فهو هنا قد ارتكب جنون ايداع أسلحة زمرته الصغيرة عند قروي خائن . وهناك كاد ان يقتله رجاله أنفسهم لأنه اعتمر عمرة استولى عليها من احد الجنود . وهناك ايضاً لم يستطع أن يفرض سلطته ازاء قادم وقح جديد . وفي مناسبة اخرى وبعد ان استعصى سلاحه عند

بدء المعركة وجد نجاته في الهروب ، ومع ذلك فانه حين يروي ما قام به من نصيب في حادث هام من الحرب الثورية - هو الاستيلاء على سانتا كلارا — تصبح الرواية غير شخصية ، ويسكت عن الدور الذي قام به في المعركة .

ولقد اتفق لي مرة او مرتين أن تساءلت امام محاربين اصليين مم يتغذى فيهم الايمان الثوري في وقت طالما بدوا فيه جفاة وغير انسانيين . ولكن تساؤلاً كهذا لا يطرح بالنسبة لـ « شي » . وباعتباره في الاساس طيباً وكريماً ، ويأخذ نفسه بكثير من الشدة ، كما لا يدين الآخرين الا نادراً ، وباعتباره صارماً وحساساً في الوقت نفسه ، فانه اذا نذر نفسه لخدمة الانسانية ، فالانسانية لا تظل بالنسبة اليه مفهوماً مجرداً ، انها في السييرا تتقمص اسماء ووجوهاً . فثمة رفاق يتحدث عنهم بحنان ومروءة مثل جوليوزيتون آكوستا ذي الخمسة والاربعين عاماً والذي كان يعلمه القراءة والكتابة في المخيم بين غارة واخرى . او ذلك الشاب البطل المتباهي الذي سقط صريعاً في سانتا كلارا . فمن صفحة الى اخرى تتلاحم الشفقة والطيبة . أما صداقته فهي عرضة للوساوس. فبعد تسع سنوات من خوضه المعركة الى جانب فيديل لام نفسه ايضاً لأنه لم يشعر بقيمته مريعاً ، وفي اللحظة التي استأذنه فيها بالسفر من هافانا بتاريخ الاول من نيسان (ابريل) ١٩٦٥ قال في رسالته الوداعية : **« إن خطيئتي الوحيدة التي كان لها خطرها هي انني لم اثق بك وثوقاً تاماً منذ اللحظات الاولى في السييرا مايسترا ، ولم ادرك بسرعة مزاياك كرائد وكثوري ».**

ان واقع اختفاء « شي » عن المسرح السياسي الكوبي دون ان يعطى عنه اي ايضاح قد فسح المجال لافتراضات شتى .

فلنستبعد اكثر هذه الافتراضات دراماتيكية اعني الافتراض القذر الذي خرج من ادمغة وكالة الاستخبارات المركزية ، والذي يزعم ان « شي » جيفارا وقد كان ضحية لتطهير « ستاليني » ، قد قتل رمياً بالرصاص خفية في كوبا . انها لخديعة كبيرة وفرية مشوهة ، سبق ان نشرت الصحف الامريكية بمناسبة اختفاء كاميلوسيا نفو - يجوس في حادث طائرة عام ١٩٦٠ دون ادنى برهان حتى دون ظهور أية بداية لقرينة . فلقد كان يمكن لفيديل ان يعفو عن كوبيلاس الذي حاول اغتياله ، ولكنه بالمقابل ينفذ حكم الاعدام بـ « شي » أعز رفاقه في السييرا !! !! إن زوجة شي قد شاركت فيديل في تكذيب النبأ واعلنت ان « شي » حي يتمتع بصحة جيدة ، وانه في مكان ما من العالم .

وتظل هذه الميلو دراما الاليزابيتية المحضة حتى بالنسبة لصحفي بورجوازي من الغرب دون اي تأثير في الوقت الحاضر .

وتزعم رواية اخرى تدعمها بخاصة حركة ١٣ تشرين الثاني « نوفمبر » في عواتيالا إن شي قد انضم الى النظريات الصينية ، ومن المحتمل ان يكون قد غادر كوبا لأنه كان يسوؤه ان يشارك لمدة اطول في السياسة المهالكة للسوفييت ، والتي يتبعها فيدبل كاسترو . وهذه النظريات تستند كما نرى الى فرضيتين :

١) ان فيدبل كاسترو منحاز الى موسكو . ٢) ان شي منحاز الى بكين .

وانه ليدهشني ان تضع حركة ١٣ نوفمبر الفرضية الاولى في المقدمة ، ولا استطيع ان اجد توضيحات لذلك الا في افتراض ان قادة هذه الحركة وهم منعزلون بحكم وجودهم في المقاومة السرية لم يطلعوا على الخطاب الذي القاه فيدبل كاسترو في هافانا بتاريخ ٣ تشرين اول « اكتوبر » عام ١٩٦٥ بمناسبة تعيين اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكوبي . ان هذا الخطاب يبطل فرضية انحياز فيدبل كاسترو غير المشروط الى موسكو فالوقائع تتكلم وسوف ادعها تتكلم ، ففيدبل كاسترو يعلن هنا بكل الوضوح المطلوب السيادة الايديولوجية لكوبا والعناد العميق والمبدئي للحزب الشيوعي الكوبي سواء أكان ذلك بالنسبة للنفوذ السوفياتي او للضغوط الصينية فهو يقول :

« نظراً لتعدد الأحداث والصفة غير المنسجمة لعالمنا المعاصر المؤلف من بلدان لها مواقعها المختلفة بالاضافة الى الفروق الجذرية في مستويات النمو المادي والتقني والثقافي فيها فان من المحال ان نتصور الماركسية نوعاً من الكنيسة ومذهباً دينياً له مؤسساته الخاصة به كروما والبابا والمجمع المسكوني .

إننا ندين بعقيدة ثورية وديالكتيكية لا بعقيدة دينية ، انها ينبغي ان تخدمنا كدليل في العمل الثوري ، دون ان تثقل علينا كتعليم ديني . ان الزعم بامكان وضع الماركسية في شكل تعاليم دينية هو ضد الماركسية .

ومن المحتم ان يؤدي اختلاف المواقع الى عدد لاينتهي من التفسيرات . فاولئك الذين يعطون تفسيرات صحيحة وصادقة ، يمكن ان نطلق عليهم اسم الثوريين . واذا نجم عن هذه التفسيرات تطبيق فانهم ينتصرون . أما اولئك الذين يخطئون او لاينتصرفون وفق المبادىء الثورية فسيسقطون وسيهزمون ويستبدلون بآخرين . ذلك لأن الماركسية ليست ملكية خاصة تودع في سجل ، انها عقيدة ثوري ، كتبها ثوري وشرحها واغناها ثوريون آخرون من اجل ثوريين .

وينبغي ان نكون متميزين بثقتنا بأنفسنا وثقتنا باستطاعتنا متابعة دربنا الثوري مع تعميق هذا الدرب . ويمكن ان نختلف حول قضية وحول نقطة وحتى حول كثير من النقاط مع حزب آخر ، بيد ان الاختلافات عندما تكون خالية من الغرض سرعان ما تزول أما ما لن نفعله ابداً فهو ان نقدم الاهانة بيد وان نستجدي باليد الاخرى . سنعرف ان نحتفظ باختلافاتنا في حدود اللياقة عندما تقع هذه الاختلافات ، كما سنعرف أن نكون اصدقاء لمن يعرفون ان يكونوا اصدقاءنا ، وان نحترم اولئك الذين يعرفون أن يحترمونا .

تلك هي القواعد التي ستحدد على الدوام سلوكنا كامل الحرية ، ولن نطلب الاذن من اي كان لكي نعمل هذا العمل او ذاك . كما اننا لن نطلب اذناً من اي كان لتوضيح موقفنا هنا او هناك لأننا أقمنا علاقات صداقة مع هذا الحزب او هذا الشعب . ولن يصدرعنا اي فعل او حركة تهدف الى زرع الشقاق . وسيظل هذا المبدأ الاولي رائدنا لأننا نعرف انه موقف صحيح ومبدأ عادل . وما من شيء يجعلنا نتخلى عن وضع جميع طاقاتنا في النضال ضد عدو الجنس البشري ألا وهو الامبريالية ، لأننا لن نستطيع ان نتهم اولئك الذين ساعدونا في هزيمة الامبرياليين بانهم شركاء الامبريالية .

اننا نتطلع لا إلى مجتمع شيوعي وحسب ، وانما الى عالم شيوعي، تكون فيه لجميع الأمم الحقوق ذاتها ، نحن نتطلع الى عالم شيوعي لايكون فيه لأية أمة حق الاعتراض ونحن نتطلع الى ان لايقدم العالم الشيوعي في الغد صورة العالم البورجوازي ذاتها ، هذا العالم الذي تمزقه الخلافات الداخلية ، نحن نتطلع الى مجتمع حر لأمم حرة تكون فيه لجميع الشعوب — كبيرة او صغيرة — الحقوق ذاتها » . (كوبا الاشتراكية تشرين الثاني ١٩٦٥ صفحات ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢)

أما نظرية « شي » المتحيزة الى الصين فتستند الى الخطاب الذي ألقاه في الجزائر في شباط عام ١٩٦٥ اثناء انعقاد المؤتمر الاقتصادي الافرو آسيوي الثاني .

وهنا ايضاً أترك الكلام للنصوص . فبعد ان أكد شي ان تنمية البلدان التي تلتزم طريق التحرر ، يجب ان تتكفل بها البلاد الاشتراكية أضاف « **كيف يمكننا ان نسمي**

منفعة متبادلة عندما تباع ، بموجب اسعار السوق العالمية ، المنتجات الخام التي تكلف البلدان المتخلفة جهوداً وآلاماً لاحدود لها ، وعندما تشرى ، بموجب اسعار السوق العالمية ، الآلات التي صنعتها المصانع الآلية الكبرى التي توجد اليوم . فاذا اقمنا هذا النوع من الصلات بين زمرتي الامم الاثنتين ، فعلينا ان نعترف بان البلدان الاشتراكية تشارك الاستغلال الامبريالي الى حد ما .

فمن واجب البلدان الاشتراكية معنوياً أن تصفي مشاركتها الضمنية لبلدان الغرب المستغلة » (١) .

ومن البدهي ان « شي » قد باشر بهذه الصيغ حديثاً هاماً في الجزائر ، وان هذا الحديث يتفق تماماً مع خط الصين الشعبية . واذا أخذنا شهادة آ . ب . لاتان في كتابه « نضال القارات الثلاث » (٢) بعين الاعتبار ، فان المسؤولين الصينيين كانوا يدعمونه في الجزائر ، وفي الوقت ذاته وجهة النظر القائلة بأن « بلداً اشتراكياً مصنعاً ينبغي ان يضحي بقسم من مشروعاته في التنمية لكي يقتسم موارده مع البلدان الفقيرة الراغبة في بناء الاشتراكية ونتيجة لذلك فان البلدان الاشتراكية ينبغي ان تساعد بلدان العالم الثالث بان تقرر من جانب واحد بالنسبة لها دفع سعر أعلى بشكل واضح من سعر السوق العالمي ثمناً للمنتجات الاساسية التي يقدمها لها العالم الثالث » .

ويبدو لنا ان هذا التقارب يدل على ان « شي » بعد ان قبل في الجزائر النظريات الصينية كان يتهم الاتحاد السوفياتي بشراء المواد الأولية من كوبا بسعر السوق العالمي ، أي باستغلال بلد إشتراكي في الواقع بتطبيق القواعد التجارية الرأسمالية عليه . والحقيقة هي أنه لم يحدث شيء من ذلك . فان « شي » بعد ان صاغ هذا التحذير باصطلاحات عامة في خطاب الجزائر ، أوضح فكرته على النحو التالي :

« فلو طلب الينا بيان الاساليب التي ينبغي تطبيقها لاقامة اسعار عادلة ، فلن نستطيع الاجابة لأننا لانعرف المعطيات العملية للقضية . ونحن نعرف فقط ان الاتحاد السوفياتي وكوبا بعد مناقشات سياسية قد وقعا اتفاقات كانت لصالحنا ، وبفضلها نبيع ٥ ملايين طن من السكر بسعر أعلى من السوق الحر العالمي للسكر ، والجمهورية الشعبية الصينية تدفع السعر ذاته » .

ويضيف « شي » قائلاً : « وما هذا إلا اطار للعمل . أما العمل الحقيقي فيقوم على تحديد اسعار تسمح بالتنمية » .

---

(١) الإشتراكية والانسان في كوبا . ف - ماسبيرو - دفاتر حرة ص ٨١

(٢) آ . ب لاتان : نضال القارات الثلاث ف. ماسبيرو - دفاتر حرة ٨٦-٨٧

وإذا فهمت هنا وجهة نظر « شي » فهو يسلم بان الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية يبذلان جهداً من اجل مساعدة كوبا بشراء السكر بسعر يفوق السعر العالمي اي خارج حدود قواعد التجارة الرأسمالية ، ولكنه يقدر ان هذا الجهد ليس كافياً أيضاً . وما من شك في انه يمكن أن نناقش وجهة النظر هذه ، ولسوف أثير ، من جهتي ، ملاحظة هي أن الاتحاد السوفياتي الذي ينتج على ارضه جميع السكر الذي يحتاج اليه ، لم تكن لديه أية مصلحة لشراء ٥ ملايين طن من السكر سنوياً أي جميع الانتاج السنوي الوسطي في كوبا بسعر يفوق السعر العالمي . فلا نستطيع اذن ان نتهمه ، كما لانستطيع ايضاً ان نتهم الصين الشعبية بأنها لم يبذلا جهداً جدياً لمعونة الاقتصاد الكوبي .

ان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ينفق من اجل معونة البلاد المتخلفة ــ حسب الارقام التي اعطاها آ . ب لاتان في كتابه « نضال القارات الثلاث » ــ ملياراً من الدولارات سنوياً ، خصص ثلثها أي ٣٠٠ مليون دولار لكوبا . ويمكن القول دون أية مبالغة ان الاقتصاد الكوبي بأكمله مدعوم دعماً قوياً من الاتحاد السوفياتي ومن البلدان الشرقية الاخرى ، وبخاصة تشيكوسلوفاكيا . ولقد استطعت أن ألاحظ اثناء اقامتي في براغ عام ١٩٦٣ بعد ان قضيت اربعة اشهر في كوبا ان عدداً من التشيكيين كانوا يعزون الصعوبات الكبيرة التي كانت تواجهها بلادهم آنئذ ــ والى حد كبير ــ الى المساعدة التي كانت تقدمها هذه البلاد الى كوبا ، والتي كانوا يرونها ثقيلة جداً .

وبالرغم من أن القضية هنا هي قضية علاقات بين دول ، لا بين افراد ، فاننا نجد انفسنا أمام مشكلة انسانية مألوفة كثيراً ، هي ان الذين يقدمون المساعدة يجدون انهم يقدمون منها الكثير ، كما ان الذين يتلقون هذه المساعدة يجدون انهم لايتلقون الكفاية . ويمكننا ان نتساءل مع ذلك الى أي حد تستطيع البلدان الشرقية ان تتصرف اكثر مما تفعل ، دون أن تعرض اقتصادها الخاص للخطر ، وكذلك تنميتها الخاصة ، وبالتالي درجة مقاومة الجبهة الاشتراكية لامبريالية الولايات المتحدة الامريكية . انه تساؤل يبدو سهلاً ومعزياً ، أن نعطي عنه اجابة تثير الجدل اكثر مما تعتمد على التحليل الاقتصادي الجدي .

وينبغي أن نحذر ، على اية حال ، أن نفسر كلمات « شي » في مؤتمر الجزائر تفسيراً لاترضى عنه القوى الاشتراكية الكبرى . ومما يلاحظ ، في الحقيقة ، ان بعضاً من تعابيره التي تبدو اذا نظرنا اليها نظرة عارضة ، نوعاً من اللوم المستترة ، ليست في الواقع سوى مبادىء اساسية يجهد من أجل وضعها ، فهو يقول مثلاً « **ان مشكلة التحرير بقوة السلاح من قوة سياسية طاغية يجب ان تعـــالج حسب قواعد الدولة البروليتارية . فاذا كان من الحمق أن نفكر بأن مدير معمل في دولة اشتراكية هي في حالة حرب يستطيع أن يتردد في ارسال المصفحات التي ينتجهـــا معمله الى جبهة لاتقدم له ضمانات الدفع ، فليس أقل حمقاً من ذلك التحقق من ملاءة الدفع لدى شعب ينـــاضل من اجل تحرير نفسه ، ويحتاج**

الى اسلحة من اجل الدفاع عن حريته » . واذا كانت هذه الجملة تحتوي على نقد ضمني ، فينبغي مع ذلك ان ننتظر الفقرة التالية لكي نفهمها جيداً . واليك هـذه الفقرة

« في عالمنا لايمكن ان نعتبر الاسلحة نوعاً من البضائع فيجب ان تعطى مجاناً تماماً بالمقادير الضرورية والممكنة الى الشعوب التي تطلبها كي تستخدمها ضد العدو المشترك . ووفاقاً لهذه الروح ، منحنا الاتحاد السوفيـاتي وجمهورية الصين الشعبية عونها العسكري ، فنحن اشتراكيون ، ونشكل ضمانـاً لاستخدام هذه الاسلحة . بيد أننا لسنا الوحيدين ، ونريد ان يعامل الجميع المعاملة ذاتها ، فلكي نرد على عدوان الامبريالية الامريكيـة الفظيع ضد الفيتنام والكونغو ، علينا ان نقدم لهذين البلدين الشقيقين جميع وسائل الدفاع التي يحتاجان اليها ، وان نقدم لهما تضامننا غير المشروط » .

ان « شي » ينعى إذن على القوتين الاشتراكيتين الكبيرتين عدم قيامها بكل ما كانتا تستطيعان القيام به لمصلحة فيتنام وثورة الكونغو . ومن هذا المنطلق أريد ان ابدي ملاحظتين . ان حجم المساعدة الى فيتنام لم تكن بالتأكيد في شباط (فبراير) عام ١٩٦٥ على ما أضحت عليه الآن . فالفيتنام اليوم لاتقهر وأننا لنأمل ان تقدم لها المساعدة غداً اكثر مما هي اليوم .

ولكن ملاحظة « شي » بشأن الكونغو التي نعرف المصير الذي وصلت اليه الآن تثير في نفسي افكاراً حزينة ، وحسب رواية مارسيل بنديرغانج (لوموند بتاريخ ١٧ مايس ١٩٦٦) ان « شي » قد تعرف بغاستون سوميالو في طائرة كانت تقله من دار السلام الى نيروبي . ولعلنا نرى في هذه الاقوال صدى لشكاوى سوميالو . ولن اؤكد — فيما يتعلق بي — ان هذه الشكاوى كانت كلها غير مستندة الى اساس . حتى ولو كان الموقع الجغرافي للكونغو يجعل العمل عسيراً ، فليس لدي شعور بأن الثوار قد تلقوا الدعم بكل مايتطلبه من جدوى ضرورية بعد اغتيال باتريس لومومبا . وسنلاحظ ان « شي » يصر على وضع الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية كليهما في مستوى واحد في حالتي اطرائها او التحفظ تجاهها . انه يوجه ببساطة ، وباسم الدول الاشتراكية الصغـيرة انتقادات الى الدول الاشتراكية الكبرى .

ان نظريته ليست صينية ، انها شيوعية ، بل انني اجرؤ على القول انها كوبية

وفيديلية . إذ أن فيدل كاسترو الذي استقى دروساً من « منظمة القارات الثلاث » هو الذي كان يقول بتاريخ ١٣ آذار (مارس) عام ١٩٦٦ : **« ان منظمة القارات الثلاث كانت نصراً للحركات الثورية ، نصراً البلدان الصغيرة جداً ، وليس للبلدان الكبرى القوية »** .

فاذا كان « شي » قد أدخل لوناً صينياً على نظرياته الفيديلية في الجزائر (المساواة في الحقوق بين الكبار والصغار داخل المعسكر الاشتراكي) فهو لم يدن في هذه المناسبة، وفي اية حالة ، النظريات السوفياتية عن التعايش السلمي ، كما لم يقم بهذه الادانة منذ ذلك الحين على حد علمي .

واني لأسمح لنفسي ان اقف عند هذه النقطة لأن هذه الادانة هي الخط الرئيسي للفصل بين انصار السوفييت وانصار الصين كما هو معلوم . ولأن « شي » في مذهبي رغم بعض الاختلافات الجزئية لم يكن على خلاف حقيقي مع فيديل كاسترو حول السياسة الخارجية لكوبا كما أوضح هو ذلك .

ولقد سجل ، في الحقيقة ، في كتاب الوداع لفيديل كاسترو « انه كان على الدوام يتبنى السياسة الخارجة لحكومة كوبا ، وانه مستمر في هذا التبني » . وبطريقة أخرى ، لم يكن يريد نفسه ان تكون ، ، حسب تعبير مارسيل نيدير غانج « على خط سوفييتي او على خط صيني » . فعند هذه النقطة الاساسية يظل « شي » فيديلياً ، شأنه في ذلك شأن فيديل الذي لم يتغير ازاءها . ويخطيء من يظن في الحقيقة ان ثورة فيديل على الصين خلال مؤتمر القارات الثلاث ، كانت تستهدف دفع كوبا والى الابد الى المعسكر السوفياتي، فلقد كانت هذه الصيغة مؤقتة . وكانت تستند الى اسباب تكتيكية محدودة جداً .

فلقد كان الأمر يتعلق قبل كل شيء بوضع حد لحملة الدعاية التي كان يقودها منذ زمن طويل الدبلوماسيون الصينيون في هافانا داخل القوات المسلحة الكوبية . اما ان وجهة نظر فيديل لم تتغير ، واما انه يشكو قبل مؤتمر القارات الثلاث وبعده انقسام المعسكر الاشتراكي ، وأما انه يرى ان واجب البلدان الاشتراكية الاخرى عدم تعميق هذا الانقسام بالانحياز الى هذه القوة او تلك ، فهذا يظهر ببداهة في برقية نقلتهـــا وكالة الصحف الافرنسية عن هافانا بتاريخ ٢٠ تشرين الاول عام ١٩٦٦ (اوكتوبر) وقد جاء فيها : « ان الحزب الشيوعي الكوبي يكذب في صحيفة (غرانما) ان يكون غرض اجتماع القادة الشيوعيين في موسكو هو ادانة دولة اشتراكية اخرى » ويعني هذا بتعبير واضح « لاتعتمدوا على كوبا في ادانة الصين » .

ان رحيل « شي » عن كوبا يعود في رأيي لأسباب أخرى. فبصفته وزيراً للصناعة في كوبا كان (شي) الثوري الصافي العنيد الذي يعد مفاهيم جذرية ويحاول أن يطبقها ؛ وهو يرى انه كان ينبغي التخلص نهائياً من الارث (الفاسد) الذي اورثته الرأسمالية وأحد اشكاله الربحية والمنفعة المادية كحافز .

وكان (شي) كعادته دائماً يذهب حتى النهاية في آرائه هذه . وكان وزير الصناعة في كوبا يشاهد يوم الأحد وهو يقدم المثل للعمال بعمله ساعات إضافية غير مأجورة في المصانع مع تجاوزه الحدود المقررة للعمل . لقد عارض هذه الآراء ، وفي كوبا نفسها ، اقتصاديون كوبيون او اجانب اذ ابدوا ملاحظات مؤداها ان المصانع المؤممة وان كانت في بلد اشتراكي لاتستطيع ان تكتفي بالانتاج الوفير وهي في عجز على الدوام، ولاينبغي ان تخلط بين فائض الربح للادارة الرأسمالية الذي كانت تثري منه قلة والارباح المشروعة لادارة اشتراكية متوازنة ، والتي تنعكس لمصلحة المجموع . ومن ناحية أخرى فان الغاء الحافز المادي يفترض اعادة تربية الجماهير بحيث لاتعطي هذه التربية ثمارها ، وفي افضل الحالات ، قبل عدة اجيال .

أما (فيديل) فلم يكن ، كما قيل لي في كوبا عام ١٩٦٣ الى جانب نظريات (شي) ولا ضدها ، وكان ينتظر نتائج ادارته لكي يصدر حكمه . ولا استطيع أن اقول في الواقع ما هو الحكم الذي اصدره في النهاية على هذه الادارة ، لأنه لم يتحدث عنها علناً ابداً . ولكنني اعتقد انه ليس من قبيل الصدفة ان ترك « شي » منصبه كوزير للصناعة ، وكلف في افريقيا وفي آسيا بمهمة دبلوماسية دامت اكثر من ثلاثة اشهر .

ولقد جرت بعد عودته الى كوبا وحسب رواية مارسيل نيدير غانج مجابهة حادة بين فيديل وشي . وكان فيديل ، فيما اعلم ، متفقاً الى حد ما ، مع الفكرة الاساسية لخطاب الجزائر ولكنه كان مضطراً الى الشكوى من الصراحة القاسية التي عرض فيها شي آراءه، واللون الذي أعطاه اياها . وبعد ثورة الغضب هذه ، تملك «شي» وقد اصيب بالتمزق ، شعور قاس بأنه فشل فشلا ذريعاً في عمله بكوبا كاقتصادي، وفي الجزائر في مهمته كدبلوماسي. ان حنينه الى السييرا حيث كان كل شيء في غاية البساطة دفعه الى هناك . ولعله فكر أنه سيكون اكثر نفعاً وانه سيشعر بارتياح اكبر في ثورة جديدة اكثر مما هي عليه الحال في الاعمال التنظيمية زمن السلم .

لقد ناقشت الفرضية التي اتيت على شرحها مع كاتب كوبي هو ليزاندرو اوتيرو ، ولما كان ليس متفقاً معها ارى من الأفضل أن اعرض وجهة نظره . لقد كان ل . اوتيرو يرى ان مارسيل نيدير غانج قد زود بمعلومات خاطئة : فلم تكن ثمة مجابهة ، وان تكن ودية بين «شي» وفيديل . وعندما عاد «شي» من الجزائر كانت الآراء التي اوضحها بهذه المناسبة هي آراء فيديل والثوريين الكوبيين نفسها مع بعض الفروق البسيطة . كما أنه لم يكن ثمة خلاف بين الرجلين حول شروط التنمية الاقتصادية لكوبا ، ففيديل مثل شي يميل الى

تفضيل مبدأ الحافز المعنوي على مبدأ الحافز المادي . واخيراً وباتفاق تام مع فيديل قرر شي ان يذهب الى «مكان ما في العالم» كيما يعاود النضال المسلح ضد الامبريالية الأمريكية . ولقد كان رحيله يمثل ، أمام عيني فيديل وعينيه ، واقع ان الثورة الكوبية البعيدة عن الانطواء على مصالحها القومية بشكل اناني تبقى ثورة نضالية وشاملة .

أما بالنسبة لي فأنا أميل الى قبول استنتاج ليونلدو اوتيرو اكثر من قبولي التأكيد الذي سبقه . حقاً ان فيديل لم يتصور في أية لحظة الثورة الكوبية كثورة وطنية متطرفة ومحدودة النطاق : فتحرير كوبا في نظره هو العمل الأول كحركة ثورية ينبغي ان تحرر أمريكا اللاتينية وافريقيا وجميع آسيا من الامبريالية الامريكية . وبهذه الروح عقدت اتفاقات بين كوريا الشمالية وكوبا ، وبين فيتنام الشمالية وكوبا ، وبين الكونغو برازافيل وكوبا . ولقد تجسد هذا الاتفاق في برازافيل ، كما هو معلوم ، بحضور افراد من الميليشيا والمدربين الكوبيين الذين يجهدون لتقديم وسائل البقاء للثورة الكونغولية الفتية ضد جيرانها الاقوياء . ان رحيل شي والافادة من هيبته وتجربته كمحارب ثوري في احدى ثورات العالم الثالث يمكن ان يبدو لنا في الحقيقة كتطبيق ممكن ومنطقي لهذه السياسة . حتى ان فيديل نفسه ، وينبغي ان نسجل ذلك ، قال في اكثر من مناسبة أنه لولا مسؤولياته كرئيس للحكومة الكوبية لتطوع هو شخصياً لتحرير البلدان الشقيقة بقوة السلاح .

اما بالنسبة لمشكلة « الحوافز المعنوية » و « الحوافز المادية » وهي سبب الخلاف كما هو معلوم بين الصين الشعبية والاتحاد السوفييتي ، فلست اعرف اذا كان فيديل كاسترو يميل ، في الوقت الحاضر ، الى اعطاء الارجحية للاولى على الثانية . وعلى أية حال فلم يكن موقفه كذلك على الأقل بتاريخ ٢٤ تموز (يوليو) عام ١٩٦٥ . ففي ذلك اليوم كان يرأس تجمعاً شعبياً في (سانتا كلارا) وزع اثناءه شهادات وجوائز الى افضل خمسة آلاف شخص من حاصدي قصب السكر في كوبا . ومن هذه الجوائز كانت توجد دراجات نارية وبرادات ، واجهزة راديو وتلفزيون ، وتأمين اقامة في البلدان الاشتراكية او في المراكز السياحية الكوبية . وقد القى فيديل خطاباً في هذه المناسبة عالج فيه مشكلة الحافز في النظام الاشتراكي ، دون ان يجد له الحل الجذري الدائم . ولقد فعل ذلك في فكر مفتوح ومرن وغني بالتجربة الانسانية ، كما فعل ذلك كرجل لا يلتزم بالمواقف التعليمية الجامدة . ولقد بدأ الخطاب بملاحظة ساخرة عن محاذير الطريقتين فقال : «**انه ليصبح ضرباً من الخيال ان نسعى الى بناء الاشتراكية متصورين المال يجري جري مجنون وراء**

الانسان كما يصبح من السخف بل وضد الماركسية ان نتصور الانسان يجري كمجنون وراء المال ».

وبعد ان قال ذلك اجتهد في تحديد فكرته تحديداً دقيقاً ، موضحاً كيف يريد أن يحل المشكلة في الوقت الحاضر . اقول في الوقت الحاضر لأن فيديل كاسترو لا يخفي انه يأمل في أن يأتي يوم تسمح فيه تربية الجماهير بتجاوز الدعوة الى المصلحة الشخصية اذ يقول : **« ما من احد يستطيع ان ينكر انه يمكن ان نعتمد على اقلية لابأس بها من الرجال تدفعها الحوافز المعنوية والعواطف الانسانية وحدها في أعمالها .**

أما فيما يتعلق بالكتلة الكبرى من الرجال الذين يقطعون قصب السكر ، فمن السخف ان نطلب اليهم بذل اقصى الجهد قائلين لهم ان يفعلوا ذلك بدافع الواجب ، دون ان يعنوا بالربح الكثير او القليل . فالعمل على هذا النحو نوع من المثالية ، ولكننا نعتقد انه حيثما يوجد انسان يحمل مسؤولية نحو الشعب ، وحيثما يوجد انسان شرفته هذه المسؤولية ، وحيثما يوجد انسان عين كمدير او كرئيس لأية جبهة عمل ، فمن الواجب ، ومن الحق الذي لاينازع فيه ، أن يطلب الى هذا الانسان ان ينجز واجبه ؛ وان ينجزه على اكمل وجه ممكن ، بغض النظر عن المكافأة المادية التي يتلقاها » .

ان هذا الموقف ، كما نرى ، ذرائعي ومؤقت ، وهو في منتصف الطريق بين الموقف الصيني والموقف السوفياتي : فالحوافز مادية ، بانتظار امكان الاستغناء عنها ، من أجل الجمهرة الكبرى من الناس ، ولكن الحوافز معنوية وحسب من اجل النخبة التي تم انتقاء الملاكات وقادة الثورة منها .

لقد حرصت ان اذكر بخطاب سانتا كلارا ، لأن كثيراً من الآراء المغرضة تسري في فرنسا حول مواقف فيديل كاسترو ، ولانني ارى ايضاً انه يوجد ، رغم كل شيء ، فرق هام ، حول مشكلة الحافز ، بين فكرة « شي » وفكرة فيديل ، فلا يوجد ثمة مادة للخلاف الكبير بينهما مادام كل من الرجلين غير متحيز ، وما دامت الصداقة العميقة التي توطدت بين الثائرين أيام السييرا مايسترا تبدو لدى كل منهما أقوى من النزاع النظري .

وللقارىء ان يكوّن رأيه الخاص استناداً الى العناصر التي اتيت بها ، وليس معيباً أن نعترف بان قليلاً من الشك لابد أن يبرز عندما يتعلق الأمر بمشكلة تاريخية تبدو معطياتها تخمينية الى حد ما . إلا أنه ليس من الشرف في شيء ان نفيد من هذا الشك لنحاول نشر تفسيرات للحادث هي بوضوح من تلفيق الاجهزة السيكولوجية التابعة

للمخابرات المركزية أومن اختلاق المنفيين المعـادين للثورة والمقيمين في ميامي . ولا نستطيع ان نحمل رسالة « شي » غيفارا نقيض ماتقوله هي ، ولا ان نفترض حدوث قطيعة في وقت يؤكد هو فيه صداقته .

لقد رحل عن كوبا ليحمل الى بلاد اخرى ماتعلمه في كوبا مع فيديل كاسترو ، فقراره يدعو الى الاعجاب ، والاعجاب لايقتصر على الجزيرة الكبيرة التي تليت فيها رسالة الوداع هذه في جميع المدارس وألصقت في جميع القرى . لقد وضع الشعب الكوبي « شي » جيفارا الى جانب كاميليو سيانفويجوس ، وفي عداد الابطال الثوريين الذين يستمر في استلهام الأمثولة الرائعة منهم . انه يعجب بـ « شي » ويهتف لفيديل تاركاً لخصوم الثورة الاصطياد في الماء العكر ، ومحاولة معارضة احدهما بالآخر ، رغم مافي ذلك من مناقضة للنصوص ومناقضة للبداهة .

النزوع نحو التكتّلات الاقتصاديّة

د. هشام متولي

الغاية من هذا البحث هي دراسة ظاهرة النزوع نحو قيام التكتلات او التجمعات الاقليمية بعد الحرب العالمية الثانية.

سنحاول تحليل هذه الظاهرة اولاً من خلال تطور السوق التجارية العالمية في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين حيث كانت تسود صلات وعلاقات الاستعمار والتبعية. وحيث كانت صلات البلدان الصناعية بمستعمراتها اقوى منها اليوم مع البلدان المتخلفة التي كانت مستعمرة، وخاصة من ناحية وجود نموذج خاص من التكامل الاقتصادي القائم على اساس من العلاقات

التبعية . وثانياً من خلال تطورها بعد النصف الثاني من القرن العشرين حيث بدأت ظاهرة النزوع نحو التكتلات او التجمعات الاقتصادية الاقليمية المتحررة من العلاقات التبعية بصورة نسبية تغير من بنيان السوق التجارية العالمية . فاذا كانت الصفة العالمية هي التي كانت تغلب على هذه السوق في الماضي ، فان الصفة الغالبة اليوم هي النزوع نحو تشكل تكتلات اقتصادية على الصعيد الاقليمي او الامتداد الجغرافي الواحد ضمن الاقتصاد العالمي ، مع اعتبار اختلاف درجات التعاون في تشكيل مثل هذه التكتلات ، والشروع في تشكيلها .

ونظراً لأن النزوع نحو التكتل او التجمع قد اتخذ مظهرين : احدهما بلغ درجة كبيرة من الاتقان هو السوق الاوروبية المشتركة ؛ والآخر مازال في طور مشروع نحو اقامة التجمع او التكتل الاقليمي ، لم نحاول وضع تعريف عام للتكتل المذكور ، بل اكتفينا بدراسته على انه على الاغلب ظاهرة اقليمية — او على اساس الامتداد الجغرافي — وجدت او هي في طريق التشكيل في الاقتصاديات المتخلفة على حد سواء (١)

(١) لعل من المفيد ان نورد هنا التصنيف الذي وضعه الاقتصادي « بالاسا » لدرجات الاندماج الاقتصادي التي تبدأ من مرحلة التعاون الى مرحلة الاندماج او الوحدة الاقتصادية التامة ، وذلك مع مراعاة اننا نركز هنا على التكتلات الاقتصادية الاقليمية او ذات الامتداد الجغرافي :

١ — منطقة التجارة الحرة : حيث تعمد البلدان الاعضاء الى تخفيف الرسوم الجمركية والقيود الكمية بالتدريج حتى تزول بشكل تام وتتم حرية انتقال السلع . ولا تتضمن منطقة التجارة الحرة هذه بالضرورة حرية انتقال الاموال والاشخاص . ويحتفظ كذلك بوجهها كل بلد بتعرفاته الجمركية تجاه البلدان غير الاعضاء .

٢ — الاتحاد الجمركي : ويتميز بالغاء جميع اصناف التمييزات والحواجز فيما يتعلق بحركة البضائع داخل نطاق الاتحاد ، وتوحيد التعرفات الجمركية للدول الاعضاء تجاه العالم الخارجي . ولا يتضمن ذلك بالضرورة حرية انتقال الاموال والاشخاص .

٣ — السوق المشتركة : التي تشكل درجة اعلى من السير نحو الوحدة الاقتصادية لان الالغاء لا يشمل التعرفات الجمركية والقيود فقط ، اي المبادلات التجارية ، ولكن ايضا القيود المفروضة على حرية تنقل عوامل الانتاج : رؤوس الاموال والاشخاص .

٤ — الوحدة الاقتصادية : التي ، الى جانب زوال القيود على انتقال السلع =

ولا شك ان القضايا التي يطرحها التكتل الاقليمي – القائم على إساس الامتداد الجغرافي – تختلف باختلاف كون المنـاطق الاقتصادية التي يجري ضمن نطاقها تشكل التكتلات او الشروع في تشكيلها، متقدمة او متخلفة. لذلك سنحاول دراستها على هذا الاساس ومن حيث علاقة التكتلات في حال وجودها فيما بينها ايضا.

مقـدمة :

اذا كانت الصفة العالمية والاستعمارية هي التي طبعت المبادلات التجارية في القرن التاسع عشر واوائل العشرين، فان صفة أخرى تنحو لان تحل محلها في النصف الثاني من القرن العشرين، صفة تتميز بتزايد المبادلات التجارية فيما بين التجمعات او التكتلات الاقتصادية على الصعيد الاقليمي. فشبكة المبادلات التجارية العالمية التي كانت تجري بين امة شبه منعزلة وبقية الامم، اصبحت اليوم تجري بين مجموعة من الامم متكتلة على الصعيد الاقليمي وبقية امم العالم المتكتلة بدورها في مجموعات اقليمية على الاغلب. فسوق المبادلات التجارية التي كانت عالمية بالدرجة الاولى، اصبحت اليوم مع قيام التكتلات الاقتصادية اقليمية ثم عالمية.

اهم اسباب النزوع نحو التجمعات الاقليمية :

لعل من الصعوبة بمكان حصر اسباب النزوع نحو إقامة التجمعات او التكتلات الاقتصادية التي اصبحت ظاهرة من اهم ظاهرات الاقتصاد العالمي في الوقت الحاضر، نظراً لتشعباتها الكثيرة. ولكن من الممكن دوماً ملاحظة اهمها وابرزها :

آ) **فالتقدم العلمي والتقني ادى الى تطور الصناعة** وتطويرها بحيث ادى ذلك بدوره الى زيادة في تقدم العلوم التطبيقية والاصول والاساليب التقنية. والذي نقصده من وراء هذه الفكرة هو تأثيرها على حياة الشعوب وتغيير معالم هذه الحياة نحو الافضل. وهكذا فان معظم بلدان وشعوب الكرة الارضية، مدفوعـة بالفكرة

= وعوامل الانتاج، تهدف الى تنسيق السياسات الاقتصادية القومية بين الدول الاطراف بغية ازالة التمييز الناشىء من اختلاف هذه السياسات.

ه – الاندماج الاقتصادي الكامل : الذي يفترض توحيد السياسات النقدية والمالية والاجتماعية، وتلك الخاصة بمحاربة الازمات الدورية، كما انه يستوجب انشاء سلطة عليا على صعيد اطراف الاندماج تكون متمتعة بسلطة اتخاذ القرارات الملزمة للدول الاطراف.

المذكورة ومستندة اليها ، ترنو نحو التقدم واقامة اركان الحركة التصنيعية . والنزوع نحو التجمع او التكتل الاقتصادي على الصعيد الاقليمي يساعدها على تحقيق رغبتها هذه. فالفترة الزمنية المتمثلة بالقرن التاسع عشر ، والجزء الاكبر من الثلث الاول من القرن العشرين ، كانت ترزح تحت ثقل فكرة التوازن الاقتصادي العفوي الذي يؤدي الى تشكل نموذج محدد لبنيان اقتصادي يقوم على مبدأ تخصص الشعوب في الانتاج وفقاً لنظرية التقسيم العالمي للعمل ، وعلى اتخاذ شبكة المبادلات التجارية مع الخارج الطابع الاحتكاري والعالمي الصرف . ولكن الواقع الاقتصادي اليوم اخذ يرتكز اكثر فاكثر على فكرة التنمية الاقتصادية المتوازنة والواعية ، ضمن اطار ازدياد تعقد الحركة الصناعية ونشوء مراكز التنمية التي تؤدي بفعل تأثيرها الكبير الى وضع الاقتصاديات المتنافسة للدول المتجاورة - وليس الاقتصاديات المتكاملة كما كان عليه الامر في القرن التاسع عشر في العلاقات بين بلد في اوربا الغربية وآخر في آسيا مثلاً كما سنأتي على تفصيل ذلك بشكل مجابهة وتزاحم ، الامر الذي يستوجب زيادة درجة التعاون والتنسيق في المبادلات وفي تشكيل الكتل الاقتصادية الاقليمية كما هو الحال مع السوق الاوربية المشتركة . على انه من الممكن ان تنحو هذه الاقتصاديات نحو التناسق والتكامل في المستقبل على اساس التخطيط لذلك في الوقت الحاضر ، كما هو الحال مع كتلة الاتحاد السوفييتي واوربا الشرقية.

ب) وبالاضافة الى ذلك فان زيادة تعقد الصناعات الحديثة **اخذ يستوجب تمركزاً كبيراً في الانتاج من جهة ، والانتاج بكميات كبيرة من جهة ثانية ،** الامر الذي يستدعي بالضرورة توفر سوق واسعة ذات سعة استهلاكية كثيفة وممتدة . واذا كانت الشروط اللازمة لاتباع الصناعة بمفهومها الحـــديث متوفرة في بلدين كبيري الرقعة ، غنيين بالموارد الاقتصادية والبشرية كالاتحاد السوفييتي والولايات المتحـــدة الامريكية ، فان بقية دول العـــالم الصناعي لا تتوفر فيها هذه الشروط نظراً لصغرها وضيق رقعتها وعدم كفاية مواردها لتأمين الشروط اللازمة لازدهـــار الصناعة بمفهومها الحديث . فالنزوع نحو تشكيل التكتلات الاقتصادية الاقليمية امر اخذ يستوجبه اذن تطور الانتاج الصناعي ذاته وحاجته الى كثافة وامتداد في الرقعـــة الاستهلاكية . واذا كان هذا التشكل للتجمع الاقتصادي على الصعيد الاقليمي هو حصيلة التطور الاقتصادي او غير الاقتصادي في البلدان المتقدمة او الصناعية ، فانه يشكل نقطة الانطلاق نحو هذا التطور بالنسبة للبلدان غير الصناعية او المتخلفة ، كما سنرى .

كذلك هنـــاك عوامل أخرى للنزوع نحو التكتلات ، منها سياسية واجتماعية وتاريخية ، ولكننا لن نتعرض لها في حديثنا هنا رغم اهميتها .

التكتلات الاقتصادية الاقليمية القائمة :

ان نظرة واقعية لتيارات التبادل التجاري في العالم الصناعي في وقتنا الحـــاضر تجعلنا نميز اربع مجموعات مرتكزة بشكل أو بآخر على مفهوم التجمع او التكتل الاقتصادي الاقليمي او شبه الاقليمي او على اساس الامتداد الجغرافي لمجموعة من الامم او البلدان . فهناك المجموعة الامريكية (الولايات المتحدة وكندا) ، والمجموعة البريطانية (الكومونولث وتكتله الاقتصادي قائم على اساس التبعثر الجغرافي لا التلاصق والامتداد) ، والمجموعة الاوربية الغربية (السوق الأوربية المشتركة ومنطقة التجارة الحرة) ، ومجموعة اوربا الشرقية والاتحاد السوفييتي . وتساهم كل مجموعة من المجموعات الثلاث الاول بما يتراوح تقريباً بين ٣٠٪ — ٣٦٪ في التجارة الدولية باستثناء التبادل التجاري مع كتلة الدول الشيوعية . وهذه نسبة هامة بدون شك .

ولكن يلاحظ ان حجم المبادلات التجارية داخل كل مجموعة من هذه المجموعات الثلاث يزداد بنسبة أكبر من زيادته مع العـــالم الخارجي . على انه اذا كان النزوع نحو التجمع على الصعيد الاقليمي الامريكي يزداد متانة اثر ازدياد المبادلات التجارية وتنقل رؤوس الاموال بين الولايات المتحدة وكندا ، واثر الزيادة البطيئة نسبياً للمبادلات بين الولايات المتحدة وبلدان اوربا الغربية ، هذه المبادلات التي لا بـد من تغير اتجاهها نحو زيادة في كثافة المبادلات نتيجة لما يسمى بـ « محادثات كندي » التي تم الاتفاق بشأنها ، واذا كان النزوع نحو التجمع الاقليمي يزداد ارتبـاطاً بين دول اوربا الغربية — سواء بالنسبة للدول الست المؤلفة للسوق الاوربية المشتركة او الدول السبع المؤلفة لمنطقة التجارة الحرة كما تثبتنا الاحصاءات عن ازدياد تيار المبادلات التجارية فيما بين اعضاء هذا التجمع والى خارج نطاقه وان كانت زيادتها فيما بين الدول الاعضاء اهم من زيادتها مع العـــالم الخارجي — فاننا نجد ان تيار المبادلات التجارية داخل المجموعة البريطانية لايزداد بالنسبة التي كان يزداد بها . ولاشك ان من اهم الاسباب الحالية في ذلك هو أن التجمع الاقتصادي للمجموعة البريطانية لا يقوم على اساس التكتل الجغرافي بين بلدان صناعيـــة ، بل على العكس على اساس التبعثر وبين بلدان ذات مستويات اقتصادية مختلفة ، الامر الذي ادى الى افتقاد التناسق بين اعضاء المجموعة البريطانية المعروفة باسم (الكومونولث) . ولعل

ذلك من الأسباب الاساسية التي تدفع الجزيرة البريطانية لطلب الانضمام الى التكتل الاقتصادي الجغرافي المتمثل بالسوق الاوربية المشتركة. فالذي كان يمثل مجد الامبراطورية البريطانية في الماضي ، اي عدم غياب الشمس عن مستعمراتها المبعثرة على صعيد الكرة الارضية والمتكاملة معها اقتصادياً على اساس من علاقات التبعية (شبه وحدة جمركية ، احتكار التجارة من طرف واحد ، منطقة الاسترليني ...) اصبح يمثل اليوم — على العكس — نقطة ضعفها بصورة نسبية (١) .

على أننا لانود هنا التشبث بموضوع التجاوز الجغرافي . فنتيجة لـ « محادثات كندي » سيزداد الارتباط الاقتصادي الامريكي الاوربي رغم الفاصل الجغرافي . ذلك أنه لايمكننا تجاهل التقدم الكبير في ميدان المواصلات الرابطة بين الاقاليم الجغرافية المختلفة وخاصة بين تلك التي يقوم تعاونهما على اساس مستوى اقتصادي مرتفع . واتفاقات اقتصادية معينة بشأن التعرفات الجمركية المخفضة .

وإذا كانت الحياة الاقتصادية بالنسبة لهذه التجمعات الثلاثة تقوم على اساس مبدأ المزاحمة او المنافسة حيث تتشكل الأسعار في الاسواق تبعاً للعرض والطلب — وذلك مع ملاحظة اتجاه النظام الرأسمالي المعاصر نحو التدخل في الحياة الاقتصادية بغية التحكم في العوامل المؤدية الى حدوث ازمات — فان التجمع او التكتل الاقتصادي الجغرافي للدول الشيوعية يختلف عنه من حيث التنظيم ، حيث يمثل تنسيق الخطط الاقتصادية فيما بين الدول الأعضاء في مجلس التعاون الاقتصادي المتبادل او الكوموكون المركز الأول والأهم . والغاية من هذا التنسيق خلق اقتصاديات متكاملة على اساس التخصص الانتاجي فيما بين الدول الأعضاء ، الأمر الذي يقوي تيار المبادلات التجارية فيما بينها . وهكذا فان المبادلات التجارية مع البلدان الأعضاء في منظمة الكوموكون تمثل ٥٥٪ من التجارة الخارجية للاتحاد السوفييتي ، وان هذه المبادلات تبلغ ثلثي التجارة الخارجية لبعض البلدان الاعضاء . ويلعب عامل التقدم الصناعي دوره داخل بلدان هذه المجموعة من حيث زيادة النزوع نحو التكتل الاقتصادي . فالبلدان المتصنعة اكثر من غيرها من الدول الأعضاء

---

(١) علق المسؤول البريطاني جنكنس Roy Jenkins على موضوع دخول بريطانيا للسوق الاوربية المشتركة بقوله : « ... إن الكومونولث قيمة كبيرة . ولكن اصبح واضحاً في الوقت الحاضر انه لم يعد — بشكله الجديد — يمثل التناسق السياسي أو التناسق الاقتصادي » . Le Monde ,19 mai 1967

في الكوموكون مثلاً – بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الديمقراطية – علاقاتها الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي وثقى .

أما بقية أنحاء العالم ، فتشكل مايسمى بشكل عام بالعالم المتخلف . لقد ظهرت بوادر نزوع نحو تشكل مجموعات على أساس التكتل الاقتصادي الجغرافي الاقليمي ضمن اطار البلدان المتخلفة . ولكن التجارة الخارجية لهذه المجموعات مع مجموعات البلدان الصناعية أهم منها فيما بينها . كذلك فان تيار المبادلات التجارية لكل مجموعة متخلفة مع مجموعة او اكثر من مجموعات البلدان الصناعية أهم منه فيما بين البلدان الأعضاء في المجموعة المتخلفة ذاتها . وذلك على عكس ما لاحظناه بالنسبة لمجموعات التكتلات الاقتصادية الاقليمية للدول الصناعية .

بنيان السوق التجارية العالمية في القرن التاسع عشر :

هذا ، وقبل أن نحاول تحليل وضع الاقتصاديات المتخلفة تجاه المجموعات المتكتلة للدول الصناعية ، سنحاول أن ندرس تطور بنيان السوق العالمية للمبادلات التجارية من خلال تطور العلاقات الاقتصادية السياسية الدولية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. سنحاول أن نبين أن التدخل الواعي للحكومات المسؤولة في القرن العشرين قد أدى الى تبني التنسيق الاقتصادي والاجتماعي ليس فقط داخل البلد الواحد ، بل على صعيد الأقطار المتجاورة حيث تجسد ذلك في ضبط قواعد التنمية الاقتصادية ضمن اطار مجموعة من البلدان رأت مصلحتها في اقامة تكتلات اقتصادية يضمها عموما امتداد جغرافي متصل . سنحاول ان نبين ان هـذا المظهر التدخل قد حل محل بنيان سوق المبادلات التجارية العالمية في القرن التاسع عشر حيث كانت تسود فكرة التوازن العفوي في الفكر الاقتصادي – سواء على الصعيد الداخلي أم على الصعيد الدولي – وحيث كان التبعثر الجغرافي في مجال العلاقات الاقتصادية الدولية يحتل المكان الذي يحاول ان يحتله في يومنا هذا النزوع نحو التكتلات والتجمعات الاقتصادية الجغرافية . كذلك فان الصلات الاقتصادية الدولية كانت في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تقوم على أساس نوع أو نموذج خاص من التكامل الاقتصادي بين المراكز الصناعية في أوربا الغربية والولايات المتحـدة ومستعمرات أو شبه مستعمرات البلدان التي تضم هذه المراكز . ولكن هذه الصلات في بنيان السوق التجارية الدولية قد تغيرت في زمننا على اثر اختلال توازن هذا البنيان بسبب الحربين العالميتين وازمة الكساد عام ١٩٣٠ وقيام الثورات الاشتراكية وتفجر

الروابط الاستعمارية وظهور مشكلة التخلف الى عالم الوجود . بحيث حلت نسبياً العلاقات الاقتصادية بين الدول الصناعية المتكتلة على اساس جغرافي متصل على الأغلب — وكذلك بين الدول المتخلفة النـــازعة نحو تجمع على اساس جغرافي ممتد ايضاً — محل العلاقات الاستعمارية التقليدية التي كانت تمثل نوعاً من التكتل والتكامل الاقتصادي القائم على التبعية والتبعثر الجغرافي .

وواقع الامر ان العالم كان متشكلا في القرن التاسع عشر وماقبله وبداية القرن العشرين من مجموعتين او فئتين من البلدان : تلك **الصناعية والمتطورة والمتقاربة جغرافيـــا** تقريباً مثل بريطانيا وبلجيكا وهولند وفرنسا وايطاليا والمانيا ، وكذلك الولايات المتحدة ، ومجموعة من البلدان المستعمرة **المبعثرة جغرافيا والتي يتركز نشاطها الاقتصادي في انتاج المواد الاولية والمواد الزراعية والمواد المعدنية التي تذهب الى المراكز الصناعية ليجري تصنيعها** . وحاولت البلدان الصناعية المذكورة اقامة رابطة سيطرة وخضوع بينها وبين البلدان الاخيرة ، بغية المحافظة على تموين مراكزها الصناعية وتطويرها واستمرار سيطرتها على اسواق استهلاكية تستوعب جزءاً من منتجاتها الصناعية وتوظيف اموال تعود بمردود اكبر بكثير مما اذا شغلت في البلدان المستعمرة . وجميعنا يعرف ان البلدان الصناعية لم تكن تهيب استخدام القوة العسكرية لتفرض سيطرتها السياسية وهيمنتها الاقتصادية على المناطق المستعمرة . وهكذا فان «استغلال المستعمرات الذي غالباً ما اتخذ شكل السلب المباشر » كما يقول الاستاذ لانجه ، كان من اهم مصادر تمويل المشاريع الانتاجية في البلدان الصناعية والرأسمالية . وقد تحقق هذا الاستغلال عن طريق احتكار علاقات التبادل التجاري لمصلحة الدولة الصناعية على حساب المناطق المستعمرة . واذا ماذهبنا في التحليل الى ابعد من ذلك امكننا القول ان نموذجاً خاصاً من التكامل الاقتصادي كان قائماً في السوق العالمية التجارية بين المراكز الصناعية المتمثلة بالامبراطورية البريطانية والامبراطورية الفرنسية في القرن التاسع عشر ، والولايات المتحـــدة وبضعة بلدان اخرى في اوائل القرن العشرين ، والمستعمرات الكثيرة التابعة لهذه البلدان المستعمِرة . فكانت مجموعة البلدان المستعمِرة تؤلف العالم الصناعي ، بينما تؤلف مجموعة البلدان المستعمَرة رقع الانتاج الزراعي والاسواق الاستهلاكية لفائض المنتجات الصناعية التي تنتجها البلدان الاولى . وضمن اطار هذا التقسيم والعلاقات ، اتجهت رؤوس الاموال من البلدان المتقدمة الى المستعمرات ليجري توظيفها

في القطاعات الاقتصادية وغير الاقتصادية التي من شأنها تعزيز ربط التكامل الاقتصادي بين المستعمرة و « البلد الام » ، كتوظيف الاموال في استخراج المواد الاولية الضرورية للصناعة في البلدان المتقدمة ، وكتطوير الانتاج الغذائي الضروري لاطعام شعوب هذه البلدان ، وكالقيام بتمويل انشاء وتشييد بعض الركائز الحيوية والاساسية في البنيان الاقتصادي ، كطرق المواصلات والموانيء وغير ذلك ، هذه الركائز التي من شأنها تأمين نقل المنتجات من البلد المستعمَر الى البلد الام . وبتعبير آخر ، كانت البلدان المستعمَرة عبارة عن « مستودعات احتياطية » يتكامل بنيانها الاقتصادي مع البنيان الاقتصادي للبلد المستعمِر بالقدر الذي تتحقق فيه المصلحة الذاتية لهذا البلد الاخير . وبالمقابل ، فان هذا التكامل كان قائماً بالقدر الذي يشكل فيه البلد المستعمَر « مركز تصريف » لفائض بعض السلع التي تنتجها مصانع البلد المستعمِر . على انه لابد لنا من تحديد اصطلاح « التكامل » الذي استخدمناه . ففيما يتعلق بموضوع بحثنا ، لم تكن المبادلات التجارية قائمة على اساس العلاقات التكاملية او الترابطية او الجغرافية بين اقتصاد بلدين مستقلين ، بل على اساس العلاقات والروابط الاستعمارية التي كانت تعتمد على احتكار العلاقات التجارية من طرف واحد ، وتصل بين اقتصادين متباعدين جغرافياً احدهما مهيمن والآخر تابع . فمجال هذه العلاقات كانت السوق العالمية الموحدة او شبه الموحدة احتكاريا لمصلحة الدول الصناعية حيث اتخذ التكتل شكلاً معيناً ، اكثر منها السوق الاقليمية — القائمة على صعيد المنطقة — كما تتميز بذلك اليوم التكتلات الاقتصادية المتشكلة أو النازعة نحو التشكل على الصعيد الجغرافي المتصل .

وكأن تيارات المبادلات التجارية في القرن التاسع عشر وما قبله وبداية القرن العشرين كانت تتصف بنوع من « الحتمية الجغرافية » : فلم يكن يحق للمستعمرات ان تشيد فوق ارضها صناعات من شأنها مزاحمة او منافسة منتجات البلد الصناعي الذي تخضع لسيطرته وهيمنته . وهي لم تكن قادرة على تشييد مثل هذه الصناعات في الواقع بسبب نوعية العلاقات التي كانت قائمة على اساس الاحتكار التجاري من طرف واحد ورابطة السيطرة ، لذلك كان مصيرها الجغرافي هو القيام فقط بنشاطات زراعية محددة . فحتمية التخصص في الانتاج على اساس جغرافي كانت اذن هي التي تتميز سوق المبادلات التجارية للسوق العالمية . واننا لنجد انعكاس هذا الواقع الذي اتينا على تحليله في الفكر الاقتصادي التقليدي ، وخاصة الاقتصادي الانكلو — ساكسوني . فما نظرية التقسيم العالمي للعمل — التي نادى بها آدم سميث والقائلة بأنه يتوجب على كل بلد ان يعتمد على

بقابلياته الخاصة به سواء أكانت هذه القابليات طبيعية أم مكتسبة – ومانظرية التكاليف النسبية او المقارنة – التي نادى بها ريكاردو وجون ستيوارت ميـل – الا انعكاساً لتوازن السوق العالمية الواحدة في ذلك الوقت والتي كانت تعتمد بدرجة كبيرة جداً على الآلية العفوية للمبادلات التجارية وعلى مبدأ حرية التبادل ايضاً . ولكن هـذه الحرية كانت تحدها من جميع الجهات العلاقات التبادلية الاستعمارية التي اتينا على ذكرها .

ولكن هذا التوازن للسوق العالمية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين – والذي كان قائماً على اساس من الروابط الاستعمارية في علاقات المجموعات الصناعيـة المهيمنة مع المجموعات الزراعية الخاضعة وحيث كان هناك نوع خاص من التكامل الاقتصادي بين المجموعات الاولى والثانية ولكن لمصلحة الاولى وعلى حساب الثانية وذلك رغم التبعثر الجغرافي للمراكز الجغرافية لهذا التكامل الذي كان اداة لتقوية روابط الهيمنة والسيطرة – أخذ في الزوال منذ نهاية الحرب العالمية الثانيـة وذلك تحت تأثير حربين عالميتين ، وانحسار الاستعمار التقليدي وظهور الثورات الاشتراكية وحركات الثورات القومية في البلدان التي كانت مستعمرة واصبحت اليوم تعرف باسم (متخلفة) وذلك ليحل محله توازن جديد يعتمد في بنيانه على وجود – او الشروع في قيـام – تكتلات اقتصادية اقليمية بين البلدان الصناعية من جهة وعلى ظهور بوادر هذه التكتلات بين البلدان المتخلفة من جهة ثانية .

ان السوق العالمية للمبادلات التجارية اصبحت اليوم تتميز باتجاه متزايد نحو التكتل الاقتصادي الاقليمي ، في حين ان الصيغة العالمية كانت تغلب عليها في القرن التاسع عشر وبداية العشرين .

بنيان السوق التجارية العالمية بعد الحرب الثانية

سنحاول دراسة مظـاهر هذا النزوع نحو التكتل في النصف الثاني من القرن العشرين .

ان اهم الظواهر الاقتصادية لعالم ما بعد الحرب العالمية الثانية هي تحلل وتفكك الروابط الاستعمارية التقليدية التي كانت قائمة لفترة طويلة ، واهتمام البلدان الصناعيـة بتطوير صناعاتهـا على ضوء التقدم العلمي التطبيقي ، كذلك اهتمام البلدان المتحررة – والتي يمكن تصنيفها في زمرة التخلف الاقتصادي – باقامة صناعاتها الخاصة ، وذلك بغية رفع مستوى المعيشة في هذه البلدان .

والواقع أن إمكانية التصنيع التي أصبح كل بلد قادراً عليها بدرجات مختلفة طبعاً قد قضت في يومنا هذا على حتمية نظرية المصير الجغرافي لبعض البلدان من حيث اعتمادها على الفعاليات الزراعية فقط وبقائها في وضع من التخلف . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فانه غني عن البيان ان التطور الحديث الصناعة المعقدة اخذ يتطلب مزيداً من الامكانيات التثميرية ، ومن الخبرات التقنية والعلمية ، وسوقاً واسعة قادرة على الاستيعاب الاستهلاكي . وهذه الفكرة الاخيرة هي التي تهمنا في معرض حديثنا هنا . فلم يعد من الممكن بحسب الحسابات الاقتصادية إقامة صناعات للأسواق الصغيرة او المتوسطة قدرتهـا على الاستيعاب او الاستهلاك . فلا بد من السوق الواسعة والكثيفة الاستهلاك والمتصلة جغرافيا كما هو الحال مع الولايات المتحدة الامريكية وبدرجة اقل مع الاتحاد السوفييتي . وهكذا فان البلد الذي يبني صناعته اصبح مضطرا – بحكم تركيب الصناعات الحديثة وتعقيداتها وبحكم الضرورة الاقتصادية – للبحث عن الاسواق الاستهلاكية خارج حدوده ، ولكن على وجه الخصوص في البلدان المجاورة له والمتصلة به جغرافياً (١) . فالنزوع نحو التكتل او التجمع الاقتصادي الاقليمي هو وليد الضرورة الاقتصادية اذن في يومنـا هذا ، وخاصة بعد ان تفككت كما ذكرنا الروابط الاستعمارية التقليدية بين البلدان الصناعية ومستعمراتها البعيدة عنها جغرافيا والتي كانت تتمثل بتكامل اقتصادي قائم على أساس السيطرة بمختلف وجوهها : المالية والنقدية والسياسية والعسكرية ، اي انه كان هنـاك نوع خاص من التكتل لم يكن قائماً على أساس الامتداد الجغرافي .

وهكذا فانه في الوقت الذي كانت تتفكك وتتقطع فيه الروابط التكتلية والتكاملية المذكورة بين البلدان الصناعية ومستعمراتها او ماشابه ذلك ، كانت تتشكل أوتنزع لان تتشكل التجمعات والتكتلات الاقتصادية الاقليمية على الصعيد الجغرافي ليس بين البلدان المسيطرة والخاضعة ، بل بين بلدان ذات درجات متقاربة في النمو . وهكذا اخذنا نرى في العالم اليوم تحال علاقات التبعية التي كانت تقوم بصورة عامة على اساس نموذج معين من التكتل والتكامل الاقتصادي بين اكثر البلدان الصناعية مثل فرنسا وبريطانيا وبلجيكا

(١) قال الجنرال ديغول في حديث صحفي له: « انه اذا امكن تشبيه هذا التكتل الهام الذي هو السوق الاوربية المشتركة ، فان ذلك عائد ومعتمد على تجمعات بين بلدان متصلة جغرافيا فيما بينها ، مختلفة في درجات تطورها ولكنها متكاملة بتركيب وبنيان اقتصادياتها Le Monde , 19 Mai 1967

وهولندا والمستعمرات التي كانت خاضعة بشكل او بآخر لهذه البلدان . وظهرت بالمقابل التجمعات الاقتصادية الاقليمية بين البلدان المتجاورة في اوربا الغربية ، وظهرت بوادر النزوع نحو ذلك في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية كما سنعود الى تعدادها فيا بعد . وكما ذكرنا ، فان التكتلات التي تم تشكيلها اخذت تحتل مركزاً هاماً في تيـــار المبادلات التجارية . فبحسب الاحصاءات التي نشرتها منظمة (الغات) عن التجارة الدوليـة ، يلاحظ ان الرقم القياسي لحجم هذه التجارة قـــد ازداد بنسبة ٧٣٪ خلال الفترة ١٩٥٣ - ١٩٦١ ، في حين ان الانتاج العالمي لم يزدد بأكثر من ٣٥٪ خلال الفترة ذاتها . ويدل ذلك بدون شك على ان المبادلات التجارية الدولية نمت بسرعة اكبر من ازدياد الانتاج . ولكن اذا لاحظنا التوزيع الجغرافي لزيادة المبادلات وجدناها تكاد تنحصر بالبلدان والمناطق الصناعية مثل الولايات المتحدة وكندا ، وبلدان اوربا الغربية، وكذلك فنلندا ويوغوسلافيا واليابان . وقد ازدادت صادرات هذه البلدان من ٥٨،٣٪ من اصل مجموع الصادرات العالمية للعالم الغربي عام ١٩٥٣ الى ٦٣،٨٪ عام ١٩٦١ . واذا عرفنا ان معظم صادرات ومستوردات البلدان الصناعية تتألف من الآلات والسلع المصنوعة ، واذا عرفنا ان حجم المنتجات المصنوعة كان في عام ١٩٣٥ اكبر بمرتين مما كان عليه عام ١٩١٣ ، وبثلاث مرات مما كان عليه في اول القرن ، ادركنا ان المبادلات التجارية بين البلدان الصناعية هي التي تحتل الجزء الاهم من المبادلات التجارية الدولية ، وان هذه البلدان هي افضل مستهلك فيا بينها لمنتجاتها الصناعية .

ومقابل اتجاه المبادلات التجارية نحو الازدياد فيا بين التكتلات او شبه التكتلات الاقتصادية للدول الصناعية ، فان اتجاه هذه المبادلات ينزع نحو الانكماش نسبياً بين الدول الصناعية من جهة والدول غير الصناعية او المتخلفة او المنتجة للمواد الزراعية والاولية من جهة اخرى . وهكذا فقد انخفضت صادرات هذه المناطق غير الصناعية من ٣١،٥٪ من مجموع التجارة العالمية للعالم غير الشيوعي عام ١٩٥٣ الى ٢٤،٣٪ عام ١٩٦١ ، واذا عرفنا ان ٢٢،٩٪ من هذه الصادرات اتجهت في عام ١٩٥٣ نحو المناطق الصناعية ، فان هذه النسبة انخفضت إلى ١٨،١٪ فقط عام ١٩٦١ . وكانت مستوردات المناطق غير الصناعية من الدول الصناعية تمثل ٢٠،٥٪ من صادرات هذه الدول عام ١٩٥٣ ، ثم هبطت الى ١٨،٢٪ عام ١٩٦١ . ويمكن تفسير هذا الانكماش النسبي بأن زيادة المبادلات التجارية الدولية تشتمل بشكل رئيسي على المنتجات المصنوعة ، وان البلدان المتخلفة او غير الصناعية تصدر ما يقرب من اربعة اخماس المنتجات الاولية وتمثل المنتجات المصنوعة معظم مستورداتها .

وان نزوع اتجاه المبادلات التجارية بين المناطق الصناعية وغير الصناعية من العالم غير الشيوعي نحو عدم الاضطراد في الزيادة او الانكماش النسبي سيزداد نسبياً حدة في المستقبل بسبب عديد من العوامل اهمها ان الطلب على بعض المنتجات الاولية بحد ذاته ينزع نحو التقلص النسبي بسبب اتجاه البلدان الصناعية الى ان تستخدم في صناعاتها المواد الاولية التركيبية بدلا من المواد الاولية الطبيعية ، وبسبب ازدياد تقدم العلوم التطبيقية والخبرات التقنية التي تجعل المعامل اكثر دقة واقل تبديداً ، وخاصة لأن اتجاه دخل الفرد في البلدان الصناعية في ازدياد مستمر ، الامر الذي يعني في التحليل الاقتصادي لتكاليف المعيشة ان الفرد كلما ازداد دخله اشتد طلبه للسلع المصنوعة على حساب طلبه المنتجات الزراعية التي تنتجها المناطق المتخلفة . وهذا كله يعني ان امكانية نقص طلب المنتجات الاولية والزراعية للبلدان المتخلفة سيؤدي الى انخفاض نسبي في اسعارهــا في السوق الدولية . وهكذا ، فاننا اذا ما اخذنا اثر عاملي اتجاه المبادلات التجارية لهذه المناطق المتخلفة نحو التناقص بصورة نسبية مع البلدان الصناعية واتجاه اسعار بعض منتجاتها الاولية الرئيسية والتصديرية نحو الانخفاض بصورة نسبية ايضاً بسبب امكانية انكماش نسبي للطلب العالمي لها ، فان النتيجة هي تدني معدلات التبادل التجارية لهذه المناطق وعلى حسابها ولمصلحة الدول الصناعية .

نستلخص مما تقدم من كلام ان بنيات السوق الدولية للمبادلات التجارية قد تغير تغيراً أساسيا بين القرن التاسع عشر وبداية العشرين وبين فترة ما بعد الحرب العالميــة الثانية . فالنزعة او الصفة العالمية الموحدة للسوق القائمة على اساس من تجمع او تكتل مرتكز على علاقات التبعية (الكومونولث ومنطقة الاسترليني ، المجموعــة الفرنسية ومنطقة الفرنك ..) — خلال الفترة السابقة المذكورة — قد حلت محلها نسبيا نزعــة زيادة حصر المبادلات التجارية بين الاقطار الصناعية ،وخاصة بين التكتلات الاقتصادية ذات الطابع الاقليمي او الجغرافي المتصل ، كما هو الحال مع السوق الاوروبية المشتركة او منطقة التجارة الحرة في اوربا الغربية ، والولايات المتحدة وكندا ، والبلدان الاعضاء في الكوموكون في الكتلة الشيوعية . فهناك اذن اليوم تحول في شكل التجمعات والتكتلات وبالتالي في تيار المبادلات التجارية الدولية : فحل الرابطة التبعية الشديدة بين البــلد الصناعي ومستعمراته المبعثرة على صعيد الكرة الارضية ، حلت رابطة ازدياد العلاقات الاقتصادية والمبادلات بين البلدان الصناعية ذاتها ، وخاصة تلك المترابطة جغرافيا ، كما اثبتنا ذلك بالاحصاءات المذكورة . وان هذا النزوع نحو التكتل الاقتصادي بين البلدان

الصناعية – وخاصة المتجاورة جغرافيا – إن دل على شيء فانما يدل على ان مصالح البلدان الصناعية قد تبدلت . فبالامس ، كانت مصلحة اقتصادياتها القومية تتمثل في اقامة اشكال ونماذج من التكتلات المرتكزة على السيطرة الاستعمارية بمختلف اشكالها . اما اليوم ، فان مصلحة اقتصادياتها القومية تتمثل في زيادة المبادلات فيما بينها . ولا بد لزيادة المبادلات هذه من الاعتماد على اقتصاديات السعة او الحجم الكبير كما يسمونها اي على اسواق متسعة وكثيفة الاستهلاك حيث تتوفر القوة الشرائية الكافية لدى الافراد والجماعات لشراء هذه المنتجات . واين تتوفر هذه القوة الشرائية ان لم تكن متوفرة في البلدان الصناعية ؟ واذا اضفنا الى ذلك ان واقع تيارات المبادلات التجارية تتزايد درجاتها بين البلدان الصناعية وخاصة المتقاربة جغرافيا منها ، وتتناقص نسبيا بالمقارنة مع ما كانت عليه من زيادة ، وبالقدر الذي تتباعد فيه المسافات الجغرافية ، وخاصة بالنسبة للبلدان المتخلفة التي كانت مستعمرة ، ادركنا أن ظاهرة النزوع نحو التكتلات او التجمعات الاقتصادية الاقليمية تعكس واقع التطورات الاقتصادية الحديثة .

الاقتصاديات المتخلفة والنزوع نحو التكتلات :

ولكن ما هو موقف البلدان المتخلفة تجاه هذا الوضع الاقتصادي المستجد ؟ هل تستسلم للأمر الواقع الذي يحاول البعض اعتباره لونا من الاستعمار الجديد ؟ أم انها ستتخذ الاجراءات اللازمة للوقوف في وجه هذا البنيان المتغير لسوق المبادلات التجارية الدولية، وتحاول بدورها المساهمة بشكل ايجابي بضبط معالم هذا التغيير بحيث لايؤدي الى زيادة في ضعفها وتخلفها كما جرى عليه الامر في الماضي؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه في الصفحات التالية ، عاولين اولاً دراسة مشكلة التكتل او التجمع الاقتصادي الاقليمي في الاقتصاديات المتخلفة .

لا شك ان هناك عوامل متعددة ومختلفة تكمن وراء اتجاه البلدان المتخلفة نحو انشاء التكتلات المذكورة . هناك العوامل التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولكننا سنحاول بقدر الامكان حصر الكلام بالعوامل الاقتصادية .

لعل السبب الاساسي هو ان البلدان المتخلفة ، التي كانت مستعمرة ، او شبه مستعمرة حتى الحرب العالمية الثانية تقريباً ، وعت مشكلة التنمية الاقتصادية ومستوى المعيشة بعد حصولها على استقلالها واضطلاعها بالمسؤوليات . وقد اتضحت هذه المسألة خصوصاً لدى مراقبة النمو السريع والهام لمستوى المعيشة في الدول الرأسمالية والاشتراكية

على حد سواء ، وان من الاسباب الهامة لسرعة النمو هذه كانت تقوية ركائز التصنيع ونجاح التكتلات الاقتصادية الاقليمية كالسوق الاوروبية المشتركة التي تمثل اداة لتقوية الحركة التصنيعية . فخشية من ان يزداد فارق التنمية بشكل لا يمكن تلافيه ، ولو بصورة نسبية ، ورغبة في زرع الركائز الصناعية التي تتطلب اقامتها كما ذكرنا توفر السوق الاستهلاكية الواسعة ، واعتبار ان مراكز التنمية التي تنشأ تكون آثارها التوليدية ذات مدى جغرافي محدود ، واعتماداً على ان التكتل يزيد من قدرتها على المساومة على الصعيدين الدوليين : الاقتصادي والسياسي ، وحباً في تقليد تجربة ناجحة هي تجربة السوق الأوروبية المشتركة ، وتجربة « الكوموكون » للدول الاشتراكية ، لهذه الاسباب ؛ ولأسباب اخرى ، اتجهت البلدان المتخلفة الى محاولة اقامة التكتلات والتجمعات الاقتصادية الاقليمية فيما بينها .

وقد لخص الاقتصادي بريبيش ضرورة اقامة تكتل اقتصادي على الصعيد الاقليمي بين الاقتصاديات المتخلفة بقوله ان اقامة السوق المشتركة بين اقتصاديات متخلفة هو من الامور الضرورية جداً من اجل تحقيق الهدفين الاساسيين بالنسبة لهذه الاقتصاديات ألا وهما ضبط التجارة الخارجية وازالة العقبات من طريقها من جهة ، ودفع الامكانية الاقتصادية المعتمدة على خلق وسير الحركة التصنيعية ، من جهة ثانية .

وسنحاول الآن تعداد بعض مظاهر النزوع نحو تشكيل هذه التجمعات او التكتلات في العالم المتخلف .

ففي عام ١٩٥٧ ، وعقب حوادث السويس ، وبعد توقيع معاهدة روما بحوالي الشهرين جرى اجتماع في مقر الجامعة العربية انبثقت عنه اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية التي وضعت موضع التطبيق عام ١٩٦٤ حيث تقرر انشاء سوق عربية مشتركة في الثالث عشر من شهر آب ١٩٦٤ بين سورية والعراق والكويت والاردن ومصر . واذا كان احد اطراف هذا التجمع الاقليمي وهو مصر يعتبر غير متصل جغرافياً مثل اتصال الاردن بسورية مثلاً ، فبسبب وجود قطعة من الارض سليبة ومحتلة بقوات اجنبية ، واعني فلسطين .

وعرفت البلدان الافريقية بعض المشاريع المتعلقة بموضوع بحثنا . فهناك مشروع لزيادة التعاون الاقتصادي بين الدول العربية لشمالي افريقيا ، كذلك هناك نزوع للتجمع الاقتصادي على الصعيد الجغرافي بين البلدان التي كان يجمعها هذا التكتل على اساس هيمنة دولة صناعية عليها . واذا انتقلنا الى منطقة جنوبي شرقي آسيا لنجد العديد من المشاريع

الرامية نحو التعاون او التكتل الاقتصادي . وفي آخر عام ١٩٥٩ وقعت معاهدة مونتفيديو التي تضم تسعة بلدان من دول أمريكا اللاتينية هي : الشيلي والبيرو وكولومبيا والارغواي والمكسيك والارجنتين والبرازيل، وانضمت اليها دولة عاشرة في عام ١٩٦٥ هي فنزويلا . وكانت تهدف هذه المعاهدة في الاصل الى انشاء منطقة من حرية المبادلات التجارية ، ولكنها تطورت لتتخذ شكل الاتحاد الجمركي او الاتحاد الاقتصادي . كذلك الامر بالنسبة للسوق المشتركة لأمريكا الوسطى التي وقعت عام ١٩٦٠ والتي تضم كوستاريكا وهندوراس وغواتيمالا ونيكاراغوا .

لن نتعرض هنا لدراسة درجات التعاون فيما بين هذه البلدان واذا كانت تتخذ فعلاً شكل التكتل أم لازالت عبارة عن مشاريع تنزع نحو التجمع والتكتل . وانما الذي سنحاول التركيز عليه بقدر الامكان هو التحليل الاقتصادي لمحتوى التكتل في الاقتصاديات المتخلفة من حيث العقبات اولا ، ثم الميزات التي يمكن لهذا التكتل ان يحققها ولو نسبياً ، ثم القضايا التي يطرحها الاتجاه نحو التصنيع ضمن إطار التكتل .

كثيراً ما نصادف في الحياة أن التسمية الواحدة تدل على معنيين متباينين . فكما ذكرنا ، إن النزوع نحو التكتل الاقتصادي الجغرافي بالنسبة للبلدان الصناعية انما هو نتيجة للتطور الاقتصادي والاجتماعي لهذه البلدان ، انه حصيلة التصنيع وارتفاع مستوى المعيشة والقوة الشرائية المتوفرة بيد الجماعات والافراد . أما بالنسبة للبلدان المتخلفة ، فان هذا النزوع نحو التكتل الاقتصادي الجغرافي انما يمثل بداية الطريق او مرحلة الانطلاق نحو تطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية وزيادة الدخول .

ان هذا المعنى المزدوج والمتناقض يقودنا الى محاولة ايجاد الفوارق بين التكتلات الاقتصادية للبلدان المتطورة والتكتلات الاقتصادية للاقتصاديات المتخلفة ، ثم محاولة الكشف عن العقبات تجاه امكانية تشكل التكتلات الاخيرة مقارنة بالاولى التي اعتبرت مقياسا ونموذجا للتقليد .

فن المعروف في الفكر الاقتصادي ان التوحيد الاقتصادي على الصعيد الاقليمي لايمكن ان يتم الا بين بلدان ذات اقتصاديات متشابهة وبالتالي متنافسة ، كما هو الحال بالنسبة لبلدان السوق الاوروبية المشتركة مثلا . ولكن الوضع ليس كذلك بالنسبة للاقتصاديات المتخلفة في علاقاتها مع بعضها . فهي اما ان تكون متكاملة بصورة جزئية وبالنسبة لبعض المنتجات فقط ، اي ان المبادلات التجارية تكون محدودة ، واما ان تكون متنافسة او متزاحمة ، ولكن بصورة جزئية أيضاً ، اي ان المزاحمة تكون بين بعض

المنتجات فقط ، ذلك لان معظم منتجات البلدان المتخلفة ، والمهمة منها ، تكون متشابهة. وهي المنتجات الاولية المعدة التصدير للبلدان الصناعية . فالعلاقات التجارية بين بلدان امريكا اللاتينية مثلا محدودة النطاق حول حجم ضئيل من المبادلات لبعض السلع الاولية كما يقول بريبيش . فهل يمكن والحالة هذه لبلدان متخلفة ذات انتاج متشابه او متماثل ان تصبح متكاملة ؟ والى اي حد يمكن لأحدها ان يكون بحاجة لمنتجات الآخر اذا كان انتاجه مشابها ودرجة التكامل ضعيفة ؟ من المؤكد اننا نجد انفسنا تجاه فكرة التنسيق الصناعي المؤدية التكامل سواء على طريقة الاقتصاديات الاشتراكية كما هو الحال بين البلدان الاعضاء في « الكوموكون » ، او على طريقة الاقتصاديات الرأسمالية حيث يتحكم عامل العرض والطلب ، ومثالنا دوما السوق النموذجية التي هي السوق الاوربية المشتركة .

هذا فيما يتعلق ببنيان او تركيب الانتاج في البلدان المتخلفة ذات النزوع نحو التكتل الاقتصادي الاقليمي . ولكن هذه الاقتصاديات تصطدم بعقبة أخرى . فظاهرة التكتل هذه تتحقق في البلدان الصناعية بين اقتصاديات ذات مستويات عالية ومتقاربة في الوقت ذاته . ولكن الامر في البلدان المتخلفة لا يقتصر على تحققها بين اقتصاديات ضعيفة ، بل ان فوارق مستويات التقدم تكون ايضا كبيرة . فلو ان جمهورية اليمن قررت الانضمام لاتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية وبالتالي الى السوق العربية المشتركة، امكننا تصور مدى فارق مستوى التقدم والنمو بين القطر المصري والقطر اليمني .

وبخصوص الصعوبة الثالثة فقد ذكرنا ان النزوع نحو التكتل الاقتصادي الاقليمي قد ادى الى زيادة تيار المبادلات التجارية بين الدول الاعضاء في هذا التكتل عما كان عليه قبل تشكله فالمبادلات التجارية بين البلدان الأعضاء في السوق الاوربية المشتركة مثلاً تبلغ ٣٠٪ من مبادلاتها الخارجية . أما بالنسبة للبلدان المتخلفة التي اخذت تحاول الشروع في تشكيل نوع من التكتل الاقتصادي الاقليمي ، فان نسبة مبادلاتها داخل منطقة التكتل تكون ضئيلة ولا تزيد عن ١٠٪ من اصل الرقم الاجمالي لتجارتها . وهذا أمر بديهي ما دامت معظم استيرادات البلدان المتخلفة تأتي من البلدان الصناعية ومعظم صادراتها تذهب اليها . فالعلاقة التبادلية الرابطة بين مختلف تجمعات المناطق المتخلفة وتكتلات المناطق الصناعية اقوى بكثير فيما بينها منها بين اعضاء التجمع لمنطقة متخلفة ، وذلك على عكس ما هو عليه الامر بين البلدان الاعضاء في تكتلات المناطق الصناعية كما رأينا .

نعتقد ان هذه الصعوبة الثالثة تجاه امكانية قيام التكتلات الاقتصادية الاقليمية

المناطق المتخلفة هي اكثر تعقيداً من سابقتيها ، بحيث تكاد تجعلنا نذهب الى القول بأن نزوع المناطق المتخلفة نحو التكتل لايشكل عامل تطوير وتنمية ، لأن زيادة حركة المبادلات التجارية تعتبر من اهم الدلائل على ذلك .

ولكن يجب ألا نبالغ في التشاؤم في مستقبل العلاقات التجارية للمناطق المتخلفة سواء فيا بينها ، أو بينها وبين المناطق الصناعية ، وذلك رغم أن الوثائق والدراسات التي قدمت لمؤتمر التجارة والتنمية الذي انعقد في جنيف عام ١٩٦٤ قد أكدت حقيقة مفادها أن التجارة التقليدية للبلدان المتخلفة ليست مشجعة في الامد الطويل . ولكن اذا كنا جميعاً سنموت في الامد الطويل كما يقول كينز ، فان هناك حقيقة اخرى وهي ان كل شيء في تغير مستمر ، تغير من شأنه أن يكون في صالح نزوع البلدان المتخلفة نحو التكتل أو التجمع الاقتصادي على الصعيد الاقليمي . وهذا ماسنحاول الاشارة اليه الآن .

ذلك ان ظاهرة التكتل المذكور ، سواء أبلغت مرحلة التوحيد الاقتصادي أم ظلت في مرحلة التنسيق الواعي وصادق النية ، تعطي البلدان المتخلفة — سواء على صعيد التكتل الاقتصادي الاقليمي كما هو الحال مع السوق العربية المشتركة أم بشكل نوع معين ومحدود من التضامن العالمي بخصوص منتوج رئيسي واحد كما هو الحال مع منظمة النفط المعروفة تحت اسم « أوبك » — قوة في المفاوضة والمساومة والمجابهة لايمكن لها ممارستها منفردة أو منعزلة . ولعل أم مظهر من مظاهر قوة المساومة هذه هو الحد من ظاهرة تدهور معدلات المبادلات التجارية التي تتحقق لمصلحة الدول الصناعية على حساب البلدان المتخلفة ، وظاهرة التذبذبات الحـادة لاسعار المنتجات الأولية ، الظاهرتان اللتان كانتا وراء عقد مؤتمر التجارة والتنمية .

على انه اذا كانت قوة المساومة او المفاوضة هذه في مصلحة مختلف اشكال التضامن او النزوع نحو التكتلات الاقتصادية الاقليمية —وخاصة اذا اتفقت بعض التكتلات مع بعضها بعضاً بخصوص سيطرتها الكمية على انتاج بعض المواد الاولية بحيث يمكن لها التحكم نسبياً بالسعر نتيجة لتحكمها النسبي بالعرض — فان هذه القوة تضعف قليلاً نتيجة لما سبق وذكرناه من حيث ميل استيراد بعض المواد الاولية من قبل الدول الصناعية نحو التقلص بسبب استخدام المواد التركيبية البديلة . على انه كانتا ما كان الامر ، فان القدرة على المساومة ستمكن بعض تكتلات البلدان المتخلفة في حال وجودها من العمل على تثبيت اسعار بعض السلع الرئيسية او الاولية ، سواء بشكل مباشر ام عن طريق هيئة الامم ومؤتمر التجارة والتنمية .

وبذلك يكون النزوع نحو التكتل الاقتصادي الاقليمي او بين بعض التكتلات

ذاتها ، اداة هامة من ادوات تطوير وتنمية الاقتصاديات المتخلفة . ذلك ان المحافظة على ثبات نسبي لأسعار صادرات المواد الاولية ، اي الحصول على موارد تتزايد بشكل ثابت تقريباً من العملات الاجنبية ، يشكل العامل الاساسي والرئيسي لتمويل التنمية الاقتصادية .

ومن الممكن الذهاب مع هذه الفكرة الى أبعد من ذلك والتحدث عن مشاريع التعويض المالي والضغط الذي يمكن للبلدان المتخلفة ان تمارسه على اساس تضامني في مناقشات السيولة النقدية الدولية ومشاريع تطوير نظام السحب من الصندوق النقدي الدولي ، ولكننا لن نتعرض لهذه الامور بالتفصيل لان ما يهمنا هنا هو الفكرة الاساسية حول فوائد التضامن او التكتل الاقتصادي الاقليمي .

هذا من الناحية الدولية ، اما على الصعيد الاقليمي فقط ، فان للتكتل الاقتصادي للبلدان المتخلفة بعض المظاهر الخاصة التي تميزه عن مثيله في البلدان الصناعية المتقدمة ، وذلك مع اخذنا بالاحكام النسبية ، لا المطلقة ، بعين الاعتبار .

فقد تحدثنا عن ان التكتلات او التجمعات الاقتصادية للبلدان الصناعية انما تعتمد وتهدف ، في الوقت ذاته ، الى تطوير صناعات قائمة وتوسيعها ، وانما من اجل ذلك بحاجة الى سوق استهلاكية واسعة وكثيفة . والذي قصدناه من كلمة واسعة هو كثرة عدد المستهلكين ومن الكثافة حدة الطلب العام والفردي ، وهذا يستلزم التوفر المسبق لقوة شرائية كافية تعبر عن دخل فردي مرتفع .

اما في البلدان والمناطق المتخلفة ، فالصورة تختلف بعض الشيء فيما نظن فالقضية تعتمد على خلق صناعات جديدة اكثر من تطوير صناعات ومشاريع قائمة . واقامة الصناعة في البلدان المتخلفة عبارة عن مجازفة في مجال اقتصاديات ناشئة ، حيث يكون بالامكان اقامة مراكز صناعية ضخمة ذات آثار انمائيـــة توليدية Effet d'entrainement كما يقول الاقتصادي فرانسوا بيرو ، على صعيد منطقة جغرافية بكاملها ، لان وحدة اقتصادية صغيرة كسورية لوحدها مثلا ، لا تتمكن من استهلاك انتاج صناعة كهذه . وان خلق مثل هذه الصناعات يستوجب ان تتوفر في السوق الاستهلاكية السعة والكثافة ايضاً . ولكن اذا كان من الممكن تحقيق سعة الاستيعاب الاستهلاكي الذي قصدنا فيه كثرة عدد المستهلكين وامتداد الرقعة الاستهلاكية في الاقتصاديات المتخلفة المتكتلة او النازعة نحو التكتل ، كالسوق العربية المشتركة مثلا ، فانه من الصعوبة بمكان تحقيق ما اسميناه بالكثافة الاستهلاكية نظرا لضعف القوة الشرائيـــة وضآلة الدخول الفردية . على ان

الاقتصاديات المتخلفة هذه ان لم تكن قادرة على تحقيق الكثافة الاستهلاكية في الوقت الحاضر ، فان خلق مراكز صناعية كبرى ذات آثار توليدية على صعيد امتداد جغرافي واسع سيضع بالضرورة الاقتصاديات المتخلفة المتكتلة امام ضرورة توزيع المشاريع التثميرية وتنسيقها وفق خطة تأخذ بعين الاعتبار ضوابط تشييد الصناعات وخاصة الانتباه إلى ضرورة بناء الركائز الاساسية للتنمية الاقتصادية كشق الطرق وربط اجزاء او وحدات التكتل الاقليمي بعضها ببعض . ويقول الاقتصادي ويللير J. Weiller في ذلك : « ان اهم ميزات الاتحاد الاقليمي للاقتصاديات المتخلفة لاتتعلق باقتصاديات السعة او الحجم الكبير لمنتجات صناعية قائمة كما هو الامر بالنسبة لسوق مشتركة بالمعنى الكامل والدقيق لهذه الكلمة ، بل يتعلق الامر قبل كل شيء بتنسيق التثميرات الجديدة ، اي وضع برمجة او تخطيط يكون له بعض الاثر » . ويقول الاقتصادي ميردال بصدد الفكرة ذاتها حول اقامة سوق مشتركة بين مجموعة من الاقتصاديات المتخلفة المتكتلة على الصعيد الاقليمي انه « اذا لم يرافق تحرير المبادلات التجارية فيما بينها وضع سياسة تنسيقية لعمليات التنمية فان عدم المساواة سيستمر ان لم تقل سيزداد » .

وجملة القول ان خلق ركائز صناعية هامة وذات اثار توليدية في مجـال التنمية لايمكن ان يعطي اكله الا على اساس من التنسيق المتوازن اوشبه المتوازن تبعـا للاوضاع الخاصة بالوحدات المؤلفة للمجموعة المتكتلة ، ومن اقامة وسائل اوشبكة الارتباط والمواصلات التي من شأنها القضاء على عزلة هذه الوحدات الصغيرة عن بعضها وتمكين الآثار التوليدية من ان تعطي ثمارها على صعيد المنطقة . ولعله من المناسب ان نورد هنا ان قضية التنسيق الصناعي هي من اهم المواضيع المطروحة ، ولو نظريا ، ضمن اطار البلدان الاعضاء في السوق العربية المشتركة . ولعله من الضروري ان نذكر ايضاً ان مسألتي : تنسيق التخطيط الصناعي فيما بين الوحدات المؤلفة لمجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة او الكوموكون ، واقامة شبكة الارتباط والمواصلات الضرورية والمتلائمة مع هذا التخطيط ، هما من اهم القضايا التي وضعت لها بلدان اوربا الشرقية مع الاتحاد السوفييتي الحلول الملائمة والخاصة بها .

ومشكلة التصنيع لا تطرح فقط القضايا المتقدمة الذكر ، بل ايضا وخاصة نوع الصناعات المزمع خلقها . فكما هو معروف ان الصناعة في البلدان المتطورة قد تقدمت كثيراً فكيف تستطيع البلدان المتخلفة ان تنشىء صناعات منافسة ؟ طبعا هناك حـلول متعددة يتعلق اهمها بأساليب حماية هذه الصناعات واختيار مالا يمكن للمنتجات الصناعية للبلدان المتقدمة مزاحمته بسبب فوارق الاسعار .

يمكن تلخيص ما تقدم ، وبشكل مختصر ، بالنقاط التالية :

١ — لقد تغير وجه العلاقات الاقتصادية الدولية بين فترة القرن التاسع عشر وبداية العشرين وفترة مابعد الحرب العالمية الثانية .

فهذه العلاقات كانت تقوم على اساس النظام الاستعماري والتبعية الاقتصادية بين بلد صناعي كانكلترا مثلا وبلد متخلف كالهند مثلا . فيمكن القول والحالة هذه انه كان يوجد نوع من التكتل غير الجغرافي والقائم على اساس علاقات التبعية ونوع خاص من التكامل الاقتصادي بين البلدين ولكن هذه العلاقات الاستعمارية قد تفككت وتحللت في وقتنا الحاضر ، وتغير تبعا لذلك بنيان السوق التجارية الدولية . فظهرت بوادر النزوع نحو التجمعات أو التكتلات الاقتصادية على الصعيد الاقليمي الجغرافي المتصل ، سواء بالنسبة للاقتصاديات المتقدمة أم المتخلفة . كذلك فان البلدان الصناعية تنحو لان تقوى الروابط فيا بينها على صعيد التكتلات في حال وجودها ، وخاصة فيا بين البلدان المشكلة لتكتل قائم كالسوق الاوربية المشتركة . اما المناطق المتخلفة فهي في مرحلة النزوع نحو اقامة تكتل اقتصادي بين بعض البلدان المتجاورة كالسوق العربية المشتركة . ولكن التكتل الاقتصادي الاقليمي بين اقتصاديات متخلفة في حال وجوده ليس من شأنه زيادة وتيرة المبادلات التجارية بين البلدان الاعضاء في التكتل بالدرجة والسرعة ذاتها التي تتحقق بين البلدان الصناعية المشكلة لتكتل اقتصادي اقليمي . وحجم المبادلات التجارية فيا بين المجموعات المتكتلة اقتصاديا واقليمياً للبلدان الصناعية اكبر بكثير من تيار المبادلات بينها وبين المجموعات النازعة نحو التكتل الاقتصادي الاقليمي للبلدان المتخلفة، كذلك اقوى منه فيا بين هذه التكتلات الاخيرة في حال وجودها .

ولتجسيد فكرتنا من تطور السوق التجارية العالمية بين فترة ماقبل الحرب العالمية الثانية وما بعدها نقول ان « الكومونولث » البريطاني كان عبارة عن نوع من التكتل الاقتصادي القائم على اساس التبعثر الجغرافي بين بلد متقدم صناعياً ومجموعة من البلدان المتخلفة حيث الروابط الاستعمارية او التبعية هي المقياس في إيجاد نوع محدد من التكامل الاقتصادي . وبذلك فان السوق التجارية الدولية كانت تغلب عليها الصفة العالمية . اما اليوم فان هذا النموذج من التكتل قد زال او في طريقه الى الزوال ليحل محله نزوع على الاغلب نحو التكتل الاقتصادي على صعيد الامتداد الجغرافي الاقليمي من جهة ، وبين اقتصاديات متقاربة في مستويات نموها من جهة ثانية ،وعلى اساس من العلاقات السياسية والاقتصادية الجديدة التي حلت محل العلاقات الاستعمارية التقليدية من جهة ثالثة .

وبذلك فان السوق التجارية الدولية اصبحت تغلب عليها صفة التكتلات الاقتصادية الاقليمية او الشروع في اقامة مثل هذه التكتلات الى جانب بقائها عالمية .

وبالاضافة الى ذلك فانه اذا كان تفكك العلاقات الاستعمارية بعد الحرب الثانية كان من جملة العوامل التي ادت الى اقامة التكتلات الاقتصادية الاقليمية في البلدان الصناعية (كالسوق الاوربية المشتركة) ، فان قيام السوق الأوربية المشتركة ادى بدوره الى تحلل العلاقات بين « الوطن الأم » والمستعمرات. وهكذا رأينا كيف ان زيادة ارتباط فرنسا بالسوق الأوربية المشتركة ، اي التكتل الاقتصادي ، أدت الى زيادة تفكك وتحلل العلاقات بين فرنسا ومستعمراتها السابقة .

٢ - إن تشكل هذه التجمعات الاقتصادية هو من حيث المبدأ في صالح الاقتصاديات الصناعية والمتخلفة على حد سواء . فبالنسبة للاولى يزيد من طاقاتها الصناعية القائمة ويزيد من رفاه شعوبها ، وبالنسبة للثانية يعطيها قوة جماعية في المساومة على الصعيد الدولي ، ويمكنها من ضمان ثبات أسعار منتجاتها الاولية او التصديرية ولو نسبياً ، ويمكنها من نبذ فكرة حتمية تلازم مصيرها الجغرافي بالانتاج الزراعي فقط ، وخاصة الاعتماد على منتوج رئيسي واحد ، من جهة ، ومن دخول عالم التصنيع من جهة ثانية . وقد جاء في المبدأ العاشر لتوصيات مؤتمر التجارة والتنمية الذي انعقد في جنيف عام ١٩٦٤ انه « من المفيد تشجيع تشكيل التجمعات الاقتصادية الاقليمية او الاندماج الاقتصادي او اي شكل من اشكال التعاون الاقتصادي ضمن نطاق البلدان السائرة في طريق النمو ، وذلك كوسيلة من اجل زيادة حجم التجارة فيا بينها وبينها وبين العالم الخارجي ، وتنشيط نموها الاقتصادي ، وتنويع انتاجها الصناعي والزراعي » .

٣ - ولكن هل يكفي ان تكون التكتلات الاقتصادية الاقليمية للبلدان الصناعية مفيدة لها ، وهل يكفي ان تكون تلك الخاصة بالبلدان المتخلفة مفيدة لها ايضاً ؟ بالطبع ان هذا لايكفي ، لأن الأصل هو ازدهار التجارة الدولية ككل . حقاً اننا قدمنا ان نسبة المبادلات التجارية بين البلدان الصناعية الأعضاء في التكتلات الاقتصادية او بين التكتلات ذاتها في حال وجودها تزيد عن نسبتها مع بلدان العالم الثالث أو المتخلف ، ولكن يجب ان نذكر هنا ان هذه التكتلات ما زالت في بداية تشكلها وتطورها من جهة ، ومن جهة ثانية فان المادة ١١٠ المتعلقة بالسياسة التجارية لدول السوق الأوربية المشتركة قد نصت على ان « الدول الاعضاء باقامتها

اتحاداً جمركياً . فيما بينها ، فانها تبغي المساهمة وفقاً للمصلحة المشتركة ، في التنمية المتناسقة للتجارة الدولية ، وفي القضاء التدريجي على القيود المفروضة على المبادلات الدولية ، وفي تخفيض التعرفات الجمركية » . واشارت اتفاقية استكولم الخاصة بانشاء منطقة التجارة الحرة الى انه « رغم إن الهدف الرئيسي لهذه المنظمة هو المساهمة في تحقيق الاندماج الاقتصادي الاوروبي ، الا ان روح الاتفاقية تبغي عدم ادخال خلل على العلاقات التجارية الهامة القائمة منذ وقت طويل مع بقية بلدان العالم » واشارت مقدمة نظام « مجلس التعاون الإقتصادي المتبادل » بين الاتحاد السوفييتي والديمقراطيات الشعبية الى أن الدول الاعضاء تؤكد « إرادتها تنمية العلاقات التجارية مع مختلف البلدان كائناً ما كان نظامها الاجتماعي والسياسي ، وذلك على اساس المساواة والمصلحة المتقابلة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية » .

حقاً ان هذا الكلام جميعه هو من باب التمنيات . ولكن يجب الا يغرب عن بالنا ان هذه التمنيات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمصالح . لذلك فان الامل بتحقيقها كبير .

٤ – وختاماً لابد من ذكر بضع كلمات عن عالمنا العربي . لعتقد اننا لا نزيد شيئاً عما هو معروف من ان **التكتل الاقتصادي** ، الذي لابد وان يستتبعه بالضرورة تعاون سياسي وعسكري ، **هو الاداة الوحيدة** ، وأصر على كلمة وحيدة ، **لتقوية مركز هذه المنطقة على الصعيد العالمي من مختلف الوجهات ، ومن دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية واقامة الصناعات وزيادة مستويات الدخول ، والعمل على ادخال الخلل والاضطراب على اقتصاد القوى المحتلة لاراضينا السليبة .**

ان تكون اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية ، وان يكون تطبيق قرار السوق العربية المشتركة ، مما بداية لتعاون اقتصادي جماعي واستكمالا له بشكل منظم ، هذا لاشك فيه ولكن الذي لاشك فيه ايضا هو التساؤل كم هي البلدان العربية ، كاجزاء وككل ، بعيدة عن تحقيق آمالها واحلامها المطابقة لمصالحها الفعلية الواقعية ، الآنية والمصيرية ، في الوقت ذاته .

تحرص المجلة على التعريف بنتـــاج الفكر العربي الجديد بصورة خاصة ، ونتاج الفكر العالمي بصورة عامة . ويسعدها أن تتقبل شاكرة الكتب الجديدة التي تصدرها دور النشر العربية والأجنبية ، أو التي يبعث بها الينا مؤلفوها ، ليصار الى دراستها وعرضها في حقول المجلة .

. . .

ـ المقالات التي ترد الى المجلة، لاتعاد الى اصحابها ، نشرت أو لم تنشر .

. . .

ـ ترجو المجلة من الكتاب الذين يبعثون اليها بمقالاتهم وبحوثهم ، أن تكون هذه مكتوبة بخط واضح جداً (والأفضل أن تكون مطبوعة على الآلة الكاتبة) وأن تتضمن اسم كاتبها الحقيقي كاملاً ، وعنوانه واسمه الأدبي الذي يرغب في أن ينشر مع مقاله .

. . .

ـ ترجو ادارة المجلة من مشتركيها ومن أصدقائها الذين ترسل اليهم المجلة هدية ، أن يعلموها كتابياً عن كل تبديل يطرأ على عناوينهم .

الآداب

الكتّاب والموضوعات

شعر

رسالة جريحة

الى شعراء الأرض المحتلة



علي الجندي

ياشعراء الأرض المحتلّه
يافرسان الكلمات المرّه
يا أنجم فجر منطفىء ، تومض من خلل رماد الليل .. خلال الظلمه
ياقيثارات ترسل أنّتها عبر النسمه
إني اسمعكم من خلف الاسلاك هنا في الأرض الحرّه ...
واكاد ارى أعينكم تلمع بالغضب المكموم، وحزن النفي ونار الغربه .
واحس بصرختكم خلف القضبان ، كأنّ هتافكمُ
أجراسُ الانذار تدقُّ تدقُّ باعراقي ، تقرع صدري

فأردد اشعاركمُ حتى لأكاد أمزّقُ شعري ..
ياشعراء الأرض المحتله
خيلكمُ مُلجمة ، تكبو بالفرسان اذا جمحت
تصلب حمحمة قوافيها فوق الاسلاك ، تعلّق من أرجلها عند جدار المبكي
وتظل تحمحم مقهوره
ويظل يردد واحدكم « عشرون مستحيل » ..
فترجّع جدران المبكى في كل مكان من ارض الثوره
« عشرون مستحيل » ..

ياشعراء الروح المغتصبه !
يافرسان الكلمات التعبه :
قد سحبت بالشّعر حوا كير الارض المنتحبه ..
قد قُطّعت الاثداء العجفاء لرمان الاحلام المضطربه
والواحد منكم لايعرف وهو يضاجع قيدا
يسكن سجناً ، يُجلد ، مايجري في الدنيا حوله
الواحد منكم يندب ، يغضب ، يهتف يرسل قوله
حمماً ، دمعاً مستحياً ، أنّ « الدوله »
ما زالت من خلف المذياع ومن فوق المنبر مسخاً مثل النمله
ياشعراء الارض الثوره
يافرسان الارض الكلمه
ياروّاد الشعر المأساة الموتور النغمه
هل يسمع صوتي المرتجّ بناديكم ان غنيتُ ؟

هل يسمح للصوت بأن يعبر في ظلمات نواديكم لوناديتُ ؟
وتظلون رفاق المأساة ، احباء الحزن ، عصافير البلل
تبقون طيوراً ضائعة في عاصفة ، تحمل اكفان الامل ..
تبنون لافراخ لم تولد اعشاش البؤس
لكنّ خريفاً مهترئاً قد يولد من قلب اليأس ..
فاذا الاوراق الصفراء رسائل شوق للتربه
تنبت كلمات يانعة . تتفتح احلاماً قانية :

شعر الغربه ..

يافرسان الشوق ويازين الفتيان
ياشعراء الحب الملجم يانور الوديان ..
حبكم لايعرف حداً ، الكل يحبكمُ ويحس بأن اغانيكم طعمُ الايمان ..
.. شوقي يتفلتُ من صدري ، ويطير إليكم يحمل عاطفة الكلمه
فيعود إلي على جنحيه حكايات موجعة وجروح خطتها الظلمه
.. الشعر حزين من أجلكم يافتية ، ياروادالمجهول ويافدية شعب مصلوب ..
ياقاسم ، يادرويش وياتوفيق ، رفاق الوطن المسلوب
ماذا يبقى لغد لو انتم ماقلتم شعرا ؟
ماذا يجني اطفالكم لولم يجدوا هذا الارث الملعونا ...
ظلوا ، غنوا ، لليأس وللحب وللارض الخضرا ..
ولتجمح خيلكم .. فلعل حصانا مجنونا منها يثبُ
يتجاوز خط الافق ، ويقفز فوق الاسلاك
يدوس الذل بحافر مهر تحدوه العربُ
ياشعراء الارض الحره
يا ابناء الموت ويا فرسان القافية المره

هل تسمعنا يامحمود الدرويش وانت تعاني الموت
وراء القضبان ...
هل جاءك يا ابن القاسم صوت يهدر من خلف الاسلاك
بنغمة شعب عمـــان ...
هل مر بكم درويش من فتيان العاصفة الشجعان ..
وتأملكم من غير كلام ..
وتظاهر بالبؤس وبالجهل ولم يوم سلام ؟؟
.. هذا الدرويش المسكين هو الحل ..
فابن الشعب المجهول ... هو الحل ..
لا تيأس يا محمود ..
ولا تنقم يا توفيق ويا قاسم ...
الثورة فجرت الاحقاد وخطت للعودة دربا .
بالثورة نصنع معجزة التحرير ... ونعرف للآتي دربا .
وتفانوا من اجل الارض ومن أجل الكلمه ...
فالفجر يهل في افق التاريخ .. ويمحو الظلمه .



شمس في قدسيّا

« قدسيا القرية السورية التي فتحت
ذراعيها لنا عام النكبة »

عبد الكريم عبد الرحيم



الليل موصد بابه .. والغيمُ جفت مقلتاه
أأرخى على عينيَّ من حماي ردية الجنازه
واشتاق فيَّ النسغ ياأبتي فما أدري الولاده !
والمنتهى يخضَرُّ يبسط لي رؤاه
يتساقط النارنج والكبّاد أحمرَ في حماي
المنتهى .. ويضج في صدري حنانٌ للأبوه
محبوبتي الأولى وقمح شبابيَ المهدود جاءت
هدَّت جدار الصمت وارتعشت يداها
حين ارتميت على يديها لم أكن أرضى سواه

أشمّ نهديها وأعصر قطرة في مقلتيّ
والريح تشربُ والترابُ يكاد يورق في فتوه
والليل يوصد بابه .. هذا صداي
طاحونة الوادي وظل أبي يشدّ على يديّ
وتئنّ قدسيا ويصمت نهرها والغيم مات
وأقلّب الموتى وأمسح عن وجوههمُ الغبارْ
ورفعت فوق عصا ردائي « شاهده »[1]
لم أدرِ كان الموتُ سيفاً أم نضارا !؟
والليل موصد بابه ، محبوبتي الأولى ردائي
ويدندن الجرسُ الملاكُ حفيفَ أوردة الصغار
الشوقُ للميلاد ثارْ
كلُّ القرى جدلت شعورَ بناتها وازّينت حتى تراه
وحفيفُ أوردة الصغار الى الصباح
« بابا سواقينا » أضمُّ حبيبتي الأولى وأبكي
مازالت الأجراسُ يصبغها الحنينُ ..
تضم قدسيا صداه
حمى وأردية الجنازة ترتوي .. وتنز من جرحي دماه
« بابا » وأعوادُ المشانق والحريقُ ..
وبحيرة للسّل وادينا .. ونُرجم بالحجارة
ياقدسُ نُرشق بالهلاك ..
فلا مناره !

(١) قطعة الحجر التي يكتب عليها اسم الميت

والصخرُ أسودُ والمدى سجيلُ

تنسج من دمانا

علماً يزيّن لصوصِ فمَ المغاره

« بابا » فمي قد جفّ .. سيخ النار في حلقي وأبكي

واشتاق فيّ النسغ يا أبتي فما أدري الولاده

والمنتهى يخضر يبسط لي رؤاه ..





أشعار للأخت المسبية

محمد عمران

١ ــ لوحة الانتظار

سمعتُكَ قادماً في الريحِ ،

خفقُ جوادكَ المزهوّ أيقظني

شددتُ يدي على جرحي

« أفق ياجرحُ ، يامنسيّ في غيّابة الزمن

أفق ياجرح ، هذا فارس الاشواق ،

هذا رمحك الفادي ! »

سمعتك قادماً في الريح ،
جئت إذن ؟
كم انتظرتك أبوابي
شبابيكي التي صدئت ،
حجارة بيتي الكابي

* *

وكنتُ أراكَ من موتي
أخاً متلفعاً بالشمس ، ينشر رمحه كفني
يناديني ، بلا صوت
وكنتُ أراكَ ، ثوبُ العرس في عينيكَ
تكسو عري أشواقي
أمدُّ ذراع أحزاني اليكَ ،
أمد أعوامي التي ماتتْ ،
أمد اليك اكفاني
وكنت أراك ، تحملني على عينيك ،
تخطفني
يطير جوادك المجنون بي ،
من غابة الموت

* * *

ومن زنزانتي كانت عيون الشمس تغمزني

« غداً آتي به » ، وأضم أحزاني
أقبلها ، « غداً يأتي » ، وأنتظرُ
يموت اليومُ ، ثم اليوم ، ثم اليومُ ، لاخبرُ
وأتكىء
على جرحي ،
وأمسحه بأجفاني
ولم أيأس
مشت عشرون في جرحي ،
ولم ايأس
سيأتيني غداً ،
أبناي عُلقتا على الريح
عشم غبار خيلك ،
آه كم مهر نحاسي رمته الريح في صدغي !
ولم أيأس
حملتك في دمي فجراً ربيعياً
أخاً متلفعاً بالشمس ،
ينشر رمحه كفني

* * *

٢ ــ لوحة الحضور

رايتهمُ على شفتيك يغتسلون بالقبلات ،
دمعكِ خمر ليلُهم ،
وعيناكَ
كؤوسُ شرابهم ، ورأيتُ .. واخجلي !!

ريت ثيابك البيضاء أمسية
رأيت نيوبهم تنغرُ في نهديك ،
تنهش لحمك العاري
سمعتُك تصرخين « أخي ، أخي »
وخجلتُ من عاري
بلا ناب أنا ، وبغير أظفار
وما في القلب الا بعض أغنية
وبعض دم وأشعار
سمعتك تصرخين . أخي !
لعينيك
أتيت ، دمي على رمحي ،
فناديني
مريني أن أدق الرمح في أعناق مغتصبيك ،
أن [illegible] رمي لجماجم ،
أن [illegible] كسّرها على [illegible]يك
أن اكسوك بالمُقل
لعينيك
أتيت أخاً بلا قلب
لعنتُ القلبَ فيَّ ، لعنتُ انساني
لعنتُ الشعر ، ان لم تنعلي أجفانهم
إن لم أعمدك
على نهر من الاجساد ،
إن لم تغتسل عيناك باللهب

قصة

صرخة

في عالم غير مألوف

فاضل السباعي

فتحت عينيها ... وحدقت في السقف هنيهة كالمذهولة ، قبل أن تدرك أنهـا في « المهجع » بين زميلاتها . وهتفت ، بينها وبين نفسها ، في نشوة :

ــ ياله من منام !

وانقلبت ، وهي في سريرها ، الى الجانب الآخر ، صوب النافذة الشرقية ، وقد استشعرت خوفا حقيقيا : انه يطاردني حتى في الأحلام ! ثم فكرت : أما آن له أن يعلم أني ابنت شريفة ؟! أنا لست كبنات المهجع الآخر !

شريفة ، أنا بنت شريفة ! أولئك هن من يرغبن في تلك المداعبات التي تؤدي الى ... وصعدت من أعماقها تنهدة ، ثم سحبت اللحاف الى مافوق رأسها : أقول لهم : « عبده سلام يطاردني » وهم لايصدقون ! لايصدقون ! لايصدقون !... اختلط الخوف في صدرها بالنشوة : طيب ، لن أصده بعد اليوم ، أو أهرب منه ... ليفعل بي مايشاء !

أرسلت اليها الشمس أشعتها عبر النافذة . اقتحم نورها الظلمة الصغيرة التي اصطنعتها تحت اللحاف . هتفت بينها وبين نفسها : ياله من حلم ! ثم فكرت : عبده سلام يشبه « تيسير بك » ! وتساءلت : لماذا يرد هذا التشابه على خاطري دائماً ؟ وقلبت النظر من شجرة السرو ، المهتزة من هواء الربيع ، السابحة في نور الشمس : يوم جميل ! انه يوم جميل . سعيدة هي بوجودها هنا . ليت أيامها في « المركز » تطول . تحب عبده سلام . يلذ لها ان تستعيد في خاطرها كلمات تيسير بك . ولكن ، وا أسفاه : يقولون انهم « سيخلون سبيلها » عما قريب ! وما ينفعها أن تتحرر ، أن تخرج من هنا ؟ ألكي تعود الى الخدمة في بيوت الناس ؟ خير لها أن تبقى في المركز . لقد سئمت العمل في البيوت . صانعة صانعة ! تكره سيدتها : أم مروان ! اضطرب أمرها في بيتها ، آخر البيوت ، الذي انتهت منه الى المخفر ، بسبب السوار الذي ضاع ! قررت في تصميم : أنا لست سارقة ، أنا لست سارقة ، أنا صانعة أخدم ، ولكني لا أسرق ! وفكرت في حنق : تباً لأبي ! حملها أبوها ، وهي طفلة ، من الضيعة الى دمشق . نقلها من بيت الى بيت ... أتعس البيوت كان : الأول والأخير . ولكنها — لنقل الحق — سعدت في بيت سيدتها أم مروان . وتذكرت تيسير بك ، ابن أخت سيدتها : ما أعظمه ! ما أرق كلماته ! ما أعذب نظراته ! آه ، كانت دقيقة واحدة فقط ، ولكن لن تمحوها الأيام من ذاكرتي . كنت ألبس ذلك الفستان الأحمر الذي « دورته » لي سيدتي من فستان لبنتها « حسناء » . دخلت الصالون على تيسير بك بصينية القهوة . اختلست اليه نظرة : وجه مورد ، وشارب أشقر مزجج . كنت أعرف في سيدتي تباهيها بابن أختها الذي يتلقى علمه في مصر . وها هو ذا أمامي ، يمد يده لتناول الفنجان من الصينية . الحق ، لقد أغضيت ، ثبت نظري في الصينية ، استحياء . لماذا كان ذلك منك ، ياسعدى ؟ ياسعدى ؟ لقد لمحت في عينيه بريقاً ! كان فيها شيء ... كيف أعبر ؟ تحسس ، بعينيه ، صدري الناهد ، أوه ، أخجلني ! ثم رفعها الى عيني السوداوين !

— من أين أنت ، ياصبية ؟

وتولت سيدتي عني الجواب . لم تدعني أتكلم . لسانها الثرثار لايستريح . ثم أضافت في شكوى :

ــ انها تتعبني ، يا ابن أختي ! لاتحسن العمل ، تكسّر . بحاجة الى من يقف فوق رأسها . . .

ما أكذبها !! جرحني هذا الادعاء الباطل . لماذا تكذب سيدتي ؟ لماذا تقلل من شأني أمام ابن أختها ؟ ألا يكفي أنني صانعة تخدم في البيوت ؟

كان قد رشف من فنجانه رشفة صغيرة . ثم تطلع الي :

ــ هل أنت التي صنعت القهوة ؟

أسرعت أجيب ، قبل سيدتي :

ــ نعم .

وجدت ، أنا نفسي ، في صوتي رقة لم آلفها .

ــ أنت ماهرة في إعداد القهوة .

لم أسمع مثل هذا الثناء

تدخلت سيدتي :

ــ انه . . . البن الممتاز !

ــ ما اسمك ؟

ــ سعدى .

ــ حتى اسمك حلو . عربي الأرومة !

مامعنى هذه الكلمة : « **الأرومة** » ؟ . . .

أمعنت سعدى النظر في الشمس تطل عليها من خلال شجرة السرو . لماذا لم تدعها سيدتها ، القاسية ، لحظة أخرى ؟ كان ذلك السيد العظيم جديراً بأن يمضي في مساءلتها والثناء عليها . . . ولكن « رفة عين » من سيدتها ، حملتها على وضع الصينية على « الاسكملة » والاسراع في مغادرة الصالون . ثم لم تدع الى هناك ثانية . وهي ، على كل حال ، انشغلت في المطبخ بتحسس صدرها ــ نعم نعم ، لقد أحست فيه ثورة ــ وفي تلمس خديها اللذين وجدتهما يتقدان . وقد استرقت ، من وراء الباب ، نظرات اليه ساعة

انصرافه : ما أجمل شبابه ! وإذ لمت الفناجين ، أهوت في المطبخ على فنجانه ، على الثمالة الباقية في قعره ، تلعقها لعقا ، قبل أن تدفع به الى ماء الحنفية ... لقد وجدت في ثمالته طعما خاصا !

* * *

ليست جائعة . انها ، في هذا الصباح ، لاتحس جوعا . والجرس مايزال يرن ، معلنا موعد الفطور . و « ماما نوال » ، هناك ، وراء البركة ، تسوقهن :

ــ الى المطعم ، يابنات .. الى المطعم .

وظلت هي في ارض الدار ، في المقعد المواجه للباب : متى يطل بوجهه المورّد ؟ اقتربت المراقبة منها :

ــ سعدى ! هيا الى المطعم ، ياسعدى .

ــ لا اشعر بالجوع ، ياماما !

ارتسم الاستغراب على الوجه العطوف :

ــ كيف لا تشعرين بالجوع ، هل تشكين شيئاً ، ياسعدى ؟

كاد لسانها يشكو : انه يطاردني ، ياماما ! مازال يطاردني ! يطاردني حتى في المنام ! قبلني من هنا ، من هنا ... عبده سلام !!

المراقبة توالي سؤالها ، فيما هي تربت على رأسها بحنان :

ــ هل انت منزعجة من شيء ؟ هل ضايقتك احداهن ، يابنيتي ؟

كان استحضارها لصور المنام قد اثار في صدرها اشواقاً . أخذتها المراقبة من يدها . وهي تحدث نفسها : كاد يفعل بي أشياء اخرى ، يا ماما ! وعصفت في صدرها الأشواق مشوبة بالخوف ! ولكني استغثت ، يا ماما ! انه يطاردني . لماذا لا تصدقونني ؟

وبَغْتَةً ، اذ غدت في باب المطعم ، خوف سمر قدميها ، وأوشك أن يشدها الى وراء . لولا أن سمعت ماما نوال تهمس في أذنها :

ــ ما بالك ، يا سعدى ؟

كادت تفصح : هنا ، هنا ، يا ماما ، امسك بي عبده سلام ! كنا وحيدين ، كنت منعطفة عليه أساعده في مهمته ، فترك كل شيء وهمّ بي ... يا ماما ، يا ماما !

ثم اطلت بعينيها على المطعم ، فوجدت البنات كلا في موضعها وراء موائد الطعام. وفكرت ، وهي تسير الى امام : حسناً ، ليس ثمة ما يخيفني ، الآن !

التقت عندها نظرات البنات . انها تقرأ في أعينهن أشياء !

المراقبة اعطت « الايعاز » بالبدء بالأكل . آه ، أي شهية عندي للأكل اليوم ؟ أمسكت بفنجان الشاي . يذكرها ... انه يذكرها بفنجان القهوة الذي لعقته في مطبخ سيدتها أم مروان ... وبابن أختها الذي يدرس في مصر ... وبالبريق في عينيه ... اوه ، انه يخجلها ! عبده سلام ، هو الآخر ، تحسس بعينيه صدرها لحظة وقع نظره عليها اول دخولها المركز ! انه يشبه تيسير بك ، في الشباب الفاتن والوجه المورّد والشارب الرفيع الأشقر ! كلما خطر في أرض الدار رشقها بنظرة تحس لها لذة جديدة مضاعفة ! انه ليحدّق في عينيها تحديقة تضمر معنى – باتت تفهم هذه الأشياء – بينا وجهه يزداد توردا ! أنا جميلة ، أنا بنت خمسة عشر ، لم لا يخطبني ؟ سألتْ ، مرة ، « ماما وداد » ، التي تمحضها حبـاً خالصاً ، عن عبده سلام ؟ فعرفت أنه موظف حديث في المركز . انه « آذن المركز » ، يحمل أوراقاً إلى « قصر العدل » ويعود بأوراق . انه يأتينا ، كل صباح ، بالمواد الغذائية من المستودع الكبير في « قسم الذكور » . انه فتى طيب . وأنا بنت طيبـة وحلوة . المراقبات جميعهن : « ماما وداد » و « ماما نوال » و « ماما تيريز » ، يقلن اني بنت « آدمية » . مضى عليّ في المركز أربعون يوما ولم يشكين مني شيئا ، وشكين من زميلاتي كثيراً . أنا لم أسرق سوار الذهب من خزانة « ستي أم مروان » ! لعل مروان ، ابنها ، الذي سرقه . اتهموني باطلا وضربوني . قلت لهم : « أنا لست سارقة مـاذا افعل بسوار الذهب ؟ » . ضربوني وطلبوا مني أن أقر : أين خبأته ! أخذت استغيث : أين أنت ، يا أبي ؟ لماذا وضعتني في هذا البيت ؟ » . كنت أتخيل ، وأنا تحت الضرب ، تيسير بك وحديثه العطوف : « من أين أنت يا صبية ؟ » ، هل أنت التي صنعت القهوة ؟ » ، « أنت ماهرة .. » ... ليته يراني وأنا أضرب . لصدقني ومنع الأذى عني . تبين الحقيقة في قولي وأقنعهم ببراءتي من سرقة السوار ! ولكن تيسير بك يكن له أن يأتي ، لأنه عاد يومها إلى مصر ... ان أحداً لم يمنع عني الأذى ... وهم قد هددوني بالحبس ، بأن يسلموني الى الشرطة للتحقيق معي ! وقد تساءلت : « أيمكن أن تكون الشرطة أقسى من ستي أم مروان ؟! » .

فطنت الى أنها تأكل ، وهي لا تدري . وتبسمت ، ويدها ترتفع الى فمها بحبة زيتون : هنا آكل بشهية ! ما ألقاه من المراقبات الثلاث اللواتي يتناوبن الاشراف علينا ،

وما ألقاه من معلمة الخياطة « ماما فردوس »، ومن الاخصائية الاجتماعية، ومن المدير ... كنت ألقى عكسه من ستي أم مروان ومن ربات البيوت السابقات عليها . كلهن قاسيات، أقسى من « الشرطة » ! وتبسمت ثانية ؛ واللقمة في فمها : لقد وجدت الشرطة رجالاً طيبين . هربت اليهم في ذلك اليوم . بعثت بي ستي الى البقال لأشتري لها حاجات صغيرة، وسلمتني ليرة سورية ثمناً لها . وضعت الليرة فوق جهاز التلفزيون . وانطلقت من البيت أهيم على وجهي في الطرقات . كانت نزهة حلوة . مرت فيها طويلاً ، وأنا لا أريد أن أسأل عن مخفر الشرطة . كنت أفكر وأفكر . فكرت بكل شيء وبتبسيز بك : لو رآني الآن ؛ لساءلني وحدثني بما يحلو له ، فخالته أم مروان ليست معنا ! وكان لي أن أسأله : ما معنى أن اسمي عربي « الأرومة » ؟ الأرومة ، الأرومة ... قادتني قدماي إلى مخفر الشرطة . فاهتموا بي ؛ وأنصتوا الى قصتي . وجدتهم لطفاء جداً . كانوا يغدقون علي كثيراً من نظراتهم ، ولكن نظرات تبسيز بك كانت أحلى . وقدموا لي غداء : « رغيف فلافل » شهياً . ثم هتفوا إلى سيدي « أبو مروان » :

ـ « الصانعة ، التي تعمل عندكم ، سعدى ، هي عندنا في المخفر ، يا بك ! ! » .

ترك سيدي بيته ، وأقبل إلي على عجل :

ـ ما تفعلين هنا ، يا شقية ؟

أطرقت من خوف ، بادئ الأمر ، ولم أجب .

ـ ضاعت ! صانعتنا ضلت الطريق .

وأخذ بدي فتمنعت .

ـ ما بالك ، يا سعدى ؟ حملتني على أن أترك الغداء وآتي الى هنا . ستك أم مروان بالها مشغول عليك .

ذهب ، هنا ، الخوف عن فؤادي .

ـ لا أذهب معه ! ستي أم مروان تتهمني بسرقة سوار ضيعته ، وتضربني . لا أذهب اليها .

سألني أحدهم :

ـ وأين تريدين أن تذهبي ، يا سعدى ؟

— أدخل الحبس . أهون لي !

ثم سيدي أن يصفعني :

— أنا دافع « ثمنك » لثلاث سنين ! (والتفت اليـ ـم) هـذه البنت سرقت سوار زوجتي !

فأيقني جرأة عظيمة :

— اذن أدخل الحبس ... لأني سارقة !

— وقحة ! وقحة ! وقحة !

* * *

اتخذت مجلسها في المقعد المواجه لباب الدار : أما آن له أن يأتي ؟ وتأوهت : ولكنه لم يعد يهتم بي ! وقرّعت نفسها : آه ! أنا ، أنا ، ألم أشكه الى « الادارة » ؟! قلت لماما وداد : « عبده سلام يطاردني ، يا ماما » . واستفسرت مني ، فما أخفيت عنها ؟ أوه ، لماذا كفّ عن الاهتمام بي ؟ كان يحبني ، نعم ، قرأت في عينيه الحب ! أعرف ، أنا أعرف أنه يريدني لنفسه ، هذه هي الحقيقة : يريدني أكثر مما أريده ! ولكنه ، آه منه ... يخاف !

وتطلعت نحو الباب : لماذا كف عن الاهتمام بي ؟ لطالما سألت نفسها ، فكانت تجيب : لأنه ان انشأ بينه وبيني علاقة فصلوه من عمله ! حدثوها بأنه ، رغم شبابه ، صاحب « عيلة » يعيلها . مات أبوه ، بالأمس القريب مخلفاً له أخوة صغاراً وأمه . كان طالب مدرسة ، فاضطر الى ترك مدرسته والعمل هنا . يأخذ أوراقاً الى قصر العدل ويأتي بالمؤونة اليومية من المستودع . تراه احياناً متأبطاً كتاباً . سألته اول مجيئها : « ماهذا الكتاب ؟ » لمحت في عينيه بريقاً ذكرها ببريق عيني ابن اخت سيدتها ام مروان . أجابها ، حذراً ان يسمعه أحد : « كتاب التاريخ لطلاب البكالوريا » . لماذا خفض صوته ؟ يمتنع عليه ان يخاطب البنات . آه منه : وجدته يعني بها وحدها ، حين لايولي غيرها من البنات إهتماماً ، آه منه ؟ والبنات يحببنه . فتى وسيم يدخل الى حيث لايدخل رجل سواه ، عدا المدير . وجدت عنايته بها في ازدياد ! وعندمايكلمها يصطبغ وجهه بحمرة على مافيه من لون وردي . انها تتسلل ، في غفلة من المراقبة المناوبة ، الى المطعم ووراءه ، فتساعده في تفريغ المؤونة التي يجلبها في الصواني والصحون . تكون معها الطاهية « أم محمود » المرأة السمينة التي لا « ترى » جيداً ! لاتفهم الا بالسمن واللحم والمرق ! لاترى عبده سلام ومايصطبغ به وجهه

الوسيم من ألوان ! تتمنى لو تتحسس وجهه ! مرة مدت يدها اليه ، تلامس كتفه . نظر هو الى كتفه ، ليرى ماإذا كان ثمة « شيء » على كتفه . أحبت ان تداعبه ! فلما لم ير شيئاً ، صوب نظره اليها : كانت تحدق فيه بشوق ! الحقيقة ؟ وتبسمت : لقد أحبته ! أحبته ! أحبته ! والبنات عرفن ذلك من الوهلة الاولى ! آه ، لقد اضطرب من تحديقتها فيه . ماأجمل المداعبات ! وأسرع يدير نظره صوب أم محمود ليرى : هل المرأة-تشهد ؟ وأم محمود غارقة في فحص السمن والرز والشعيرية ! إنه يخاف الادارة . أوضح لها انه يخاف. وانها لتحبه في خوفه وأمنه ! ر وضح للبنات انها تحبه . ولكن .. واحسرتاه ، لقد كف من يومها عن التحدث اليها ! وكف ، آه ، حتى عن النظر اليها ! انها لتعاونه في المطعم ، وتبذل في معاونته جهدها ، فلا يبدي اهتماماً اي اهتمام . ترى أي خوف فيه ؟ كل مابانت تراه فيه سكوت مطبق في وجه يصطبغ ألواناً . انها لتكره فيه هذا الصمت ! تمثال جامد ، ذو وجه يتورد ! .. تكرهه ! بات يطاردها ! يطاردها ، على نحو غير مألوف في اليقظة والحلم ! لماذا يداعبها ؟ إنها لاتريده ! انها بنت شريفة .. شريفة . .

– بماذا تفكرين ، ياسعدى ؟

صحت على صوت احداهن .

– بماذا تفكرين ؟

انها فاطمة – هي ذي تجلس الى جوارها – التي قطعت شوارع دمشق سائلة .

– لاأفكر بشيء .

كانت عيناها مشدودتين الى الباب شدا .

– لاتفكرين بشيء ؟ ! (تمت على شفتي صديقتها الخبيثة بسمة) **عبده سلام .. همْ مم تنتظرين مجيئه !!**

سارعت تعلن :

– أنا .. أنا .. أكرهه !

ضحكت صاحبتها :

– خفضي من صوتك ، لئلا تسمعنا ..

– أقول لك : أنا أكره عبده سلام !

ـ مليح : أنت تكرهينه ، ونحن جميعاً نحبه ! هل زارك ، الليلة ، في المنام ؟ !

فشتمتها :

ـ ياعنك ، فاطمة !

ـ وجدتك في الصباح الباكر ، تكلمين نفسك !

ـ أنا ؟! (وفكرت) وهل سمعت ماحدثت نفسي به ؟

ـ كان الذي يتكلم شفتاك وعيناك وقسمات وجهك . وأما صوتك فلا يكاد يسمع . كنت تخرجين رأسك من تحت اللحاف ، ثم تطمرينـــه ، ثم تخرجينه .. وأخيراً علا صوتك !

ـ صوتي علا ؟! طيب ، ماذا قلت ؟

ـ ترددين : شريفة ! شريفة ! أنا بنت شريفة !

أنكرت بصوت جسور :

ـ أنا لم أقل هذا !

ـ خفضي من صوتك . لئلا تسمعنا ماما فردوس ! ومن أين لي أن أعلم ؟ سمعتك بأذني ، ياسعدى . انت .. (وتضاحكت بوقاحة) الى متى تظلين « مجنونة » بعبده سلام ؟ انت مجنونة بحبه ، ياسعدى ! انت مجنونة ! قد يحيلونك الى « العصفورية » اصح على نفسك . هل .. (رأيتها تبتسم بمكر) هل داعبك ليلة أمس في المنام ، ياسعدى ؟

فكرت في حنق : هي ذي فاطمة تحزر ! ولكني لم أحك المنام لأحد ! اللعينة تعرف .

ـ هل داعبك في المنام ؟ داعبك عبده سلام ؟

اعلنت في عزم :

ـ خسىء !

فاطمة تتأوه :

ـ آه ! ليته يداعبني أنا ، فأستسلم له !
وجدت صوتها يعلو :
ـ خسيء ! خسيء ! خسيء !
ـ أقول يداعبني أنا ، لا انت ! لماذا تغضبين ؟ أراك تغارين !
ـ أنا لا أغار !
ـ قولي انك تحبينه ! أنت تغارين عليه .
وانفجر ، هنا ، في حلقها نداء مذعور :
ـ ماما ! ماما ! ماما !..
اقبلت ، في اثره ، ماما وداد والاخصائية الاجتماعية ، خرجتا الينا من «الادارة» ركضاً ! سألتها الاخصائية :
ـ مابك ، ياسعدى ؟
ـ ماما ... انها تعذبني !
ـ من منهن ؟
تلفتت بحثاً عنها :
ـ فاطمة ، ياماما ... انها فاطمة الشحادة !
ـ اين هي ؟
تجمع حولها البنات ، متسللات من « المشغل » ، متحلقات حول البركة ، ثم مالئات أرض الدار ، وجئن بفاطمة ، وانتهرتها ماما وداد :
ـ أي شيء جعلك تغادرين المشغل ، يافاطمة ؟
رأيتها تجيب بخوف :
ـ استأذنت ماما فردوس ، لأشرب .
ـ وشربت ؟ ام انك خرجت تتعرضين لسعدى ؟ كم مرة قلنا لكن : دعنها وشأنها ! هيا الى المشغل .

* * *

ارتقت الدرج ، وهي تفكر بسعادة : الادارة تعق بي ! نعم ، انهن يعنين ويلبين رغباتها : تتمنع عن الطعام . فيسترضينها ؟ تتشكى من احداهن ، فيدفعنها عنها ! تصدفه عن تعلم الخياطة ، فيتركن لها حرية دخول المشغل والخروج منه وقت تشاء !

ودفعت باب المهجع ، محدثة نفسها بصوت :

– وهأنذي ، الآن ، ارغب في الصعود الى المهجع ، فتسمح لي ماماوداد !

واستدركت ، وقد غاضت السعادة في قلبها : ولكنه لايهتم بي ! آه ، انه يخاف الادارة . يموت رعباً من الادارة ! لم يعد يكلمها ! وهي ، كلما أمعن في صمته ، اشتد حبها له ! انها تكرهه . صامت ، أخرس ، لاينطق ! مرة مد يده نحوها . كانت الى جواره في المطعم ، تحت . وكان مقرفصاً يفض أغراضه التي جاء بها ، وهي منعطفة عليه تساعده . مد اليها يده ، تلك التي تمسك خيطاً من قنب . حدثت نفسها في ابتهاج : هوذا يتعلل بذلك ليتحسس صدري ، بينا تنكب أم محمود على اللحمة تعاينها ! .. ولكن يد ترتفع الى وجهها ، فقالت في نفسها : يريد لمس خدي ! .. يده تزداد ارتفاعاً ، قالت : شعري ! .. ولكن اليد تتابع انطلاقها كالسهم ... فاذا هو – ياخيبتها ! – يقصد مساراً في الجدار قد تراكمت عليه « الخيطان » : ليضيف خيطه القنبي اليها ! كادت ، من خيبتها ، تصرخ . كادت تهوي بيدها عليه ، وقد عاد يتابع عمله ! تكرهه ، نعم ، نعم ! فلماذا لاتشكوه الى الادارة ؟ انه يتحرش بها ، يريد ان يمتحن استعدادها ! يجب ان توصل الامر الى الادارة . لقد اسرت الى ماما وداد :

– مد يده الي ، ياماما . قصد ان يداعبني ، فأجفلت ، وتراجعت الى الوراء . فلما لم يجد مني استجابة ، تظاهر بأنه يريد ان يعلق خيطاً على مسمار في الجدار ! آه ، ياماما ... عبده سلام رذيل . انه يتحرش بي !

واعترضت عليها ماما وداد !

– ولكننا لم نلاحظ عليه مأخذاً من هذا القبيل ، ياسعدى . إنه منذ توظفه في المركز يدخل الينا ويخرج بأدب ..

فأكدت لها – وهل تخفى الحقيقة عن ماما وداد ؟ – :

– أنت لاتعلمين ، ياماما ، إنه يحملق بي ! ومن اين لك ان تعلمي ؟ انه يرشقني بنظرات ذات معنى !

— وأين يراك ؟

— في ارض الدار ، وفي المطعم .

— في المطعم ؟! وما يحملك على الدخول اليه ؟ ألسنا مانعاتكن من دخوله ، في غير اوقات الطعام ؟

اعترفت لها :

— اني اتسلل اليه ، دون علم أحد ، ياماما ! اني أساعده! انه ، ياحرام ، يتعب ! اني اساعده مع ام محمود .

لقد لمحت ، هنا ، في عيني ماما وداد ، إتاضة :

— سعدى ... صارحيني ، يا ابنتي : ما رأيك بعبده سلام؟ لاتخفي علي .

أحسست ، الآن ، انها أشد قرباً الى قلب ماما وداد :

— انه شاب وسيم ، ياماما . الحقيقة : انه وسيم وطيب . اني أحبه ! ولكنه ، ياماما ، يطاردني !

— يطاردك ؟!

رأت دهشة تلتمع في عيني المراقبة التي تحبها !

— نعم . انه يأتيني في المنام ، ويداعبني !

— أوه ، ياسعدى ! سعدى ! أنصحك بألا تفكري فيه . ابتعدي عن طريقه ، ياسعدى . دعي الرجل في حاله . لسوف نعمد الى اخلاء سبيلك ، عما قريب . لقد كتبنا الى أبيك في ضيعته ، وقد آن له ان يحضر لاستلامك .

فكرت ، وهي في ضجعتها على السرير : كتبوا إلى أبي ! أنا لا أريد أن أفارق المركز . وانقلبت الى الجانب الآخر : لماذا تنصحني ماما وداد بألا أفكر بعبده سلام ؟ ولكني لا أفكر فيه . وجلست فوق السرير : انه هو ، هو الذي يستبد بفكري! توجهت نحو النافذة الشرقية : الذنب ذنبه . ولكني لا أريد أن اخرج من المركز ، الى حيث ينقلني أبي من بيت ، الى بيت يدفع أصحابه أجراً اكبر فأتلقى من التعذيب قدرا اكبر ! وتطلعت الى شجرة السرو : لن يتاح لي ، في غير هذا المكان ، أن أستمتع بهذه الوحدة .

اني أصعد الى المهجع حين أريد، وأخرج من المشغل حين أريد ! ثم فكرت على نحو آخر: اني ، منذ أن قصصت على ماما وداد حديثي ، من عشرة أيام ، وهي تزيد في تدليلي وملاطفتي والعناية بي ! بل ان الجميع ازدادت عنايتهن بي وتغيرت معاملتهن . لقد رفعوا عني كل قيد — مامعنى هذا ؟! — الا قيدا واحداً وضعته عليّ الاخصائية الاجتماعية في صيغة الأمر : « لاتدخلي المطعم عندمـــا يكون فيه عبده سلام ! » ... لماذا ؟ لماذا ؟ أيخافون عليّ منه ؟ أنا بنت شريفة ! أنا لا أخاف منه !

وقفت أمام المرآة : ما أجمل عينيك ، ياسعدى ! واسعتان ، تسبحان في سواد . كم تحبها ماما وداد !

وهبطت بناظريها الى بدلتها ، والمشط في يدها تسرّح به شعرها . أي فارق بين لبس الخدمة في البيوت ، وبين هذه البدلة الكحلية النظيفة تلبسها هنـــا ! تخيط البدلات لهن ماما فردوس .

وعاودت النظر الى عينيهـــا ، تخاطب نفسها في عزم : حياتك هنا ، ياسعدى ، سعيدة ، أليس كذلك ؟ ولكن مايشغلك ، أيتها المسكينة ، عبده سلام . انه يطاردك . يطاردك في الأحلام ! البنات عرفن خبر الأحلام ! لن يخيفني ! أنا بنت قوية . سأبرز له ! سأتحداه ! ما باله تأخر اليوم ؟ لم أسمع ، بعد ، الرنة التي يبعثها في جرس الباب . سأتسلل الى المطعم ، بعد قليل ، دون أن يشعر بي أحد ، وأبرز له . قبّلني في المنام . هل يقبلني في اليقظة ؟ آه ، متى يقبلني في اليقظة ؟ قبلني من هنا ، من هنا ، من هنا ... لم تكن أم محمود معنا ! أمسك بي هكذا ، هكذا . عانقني . وقبلني من شفتي ، وكاد ... آه ، كاد يهم بي ، لولا أن صرخت ...

وخاطبت نفسها : لمـــاذا صرخت ، ياسعدى ؟ وأحست بحسرة تملأ جوانحها : لم استغثت ؟ لم ؟ لم ؟

سمعت ، هنا ، رنين الجرس يصدح في أرض الدار ، رنة عبده سلام المعهودة ! وفكرت في تصميم : لن أصده ، هذه المرة !
وأسرعت الى النافذة ... تطل .

* * *

امتلأ قلبها فرحا : هو ذا عبده سلام في أرض الدار ، يحمل مؤونة اليوم . أغلقت باب المهجع وراءها في رفق . قلبها يخفق خفقانا مريعا . نزلت الدرج بتؤدة . حذرة من أن تقع عليها عين . هو ذا يعاود الحمل من الباب الى المطعم .

هتفت بينها وبين نفسها : ياعبده ! ياعبده ! لماذا أنت هكذا!؟ ألا تسمعني ؟ لماذا! تطاردني ؟ تطاردني ؟ تطاردني ؟ لسوف أشكو أمرك معي الى الادارة ، ها !!

غدت في أرض الدار . تلقطت أنفاسها . دخل المطعم . وباب الدار أغلق . خير لها أن تسير في أرض الدار صامدة ، دون ما خوف او احتراس . لا خوف ، لا خوف! تريد ... انها تريد أن تذهب الى « دورة المياه » . غدت قرب البركة .. هو ذا المشغل مغلق بابه . وباب حجرة الادارة مغلق ايضاً . هن في اطمئنان : انها في المهجع ، فوق ! لا عين تراها . لتدخل من هذا الباب ، اذن . لا يخامرها خوف . الباب أغلقته ورامها في هدوء . عبده سلام ، هو ذا – ياعيني عليه ! – يضع صندوقا على الأرض . انه يدير وجهه نحوها . ينظر اليها . وجهه يتورد . صاح بلهجة أقرب الى الأمر :

– دعي الباب مفتوحا !

فكرت : آه منه ! انه يتكتم ، يحاول دائما أن يخفي عاطفته نحوي . طيب ، لو كان الأمر في يده أتراه يهتف بي في رفق : « سعدى ، حبيبتي ، أنزلي رتاج الباب ، وهلمي الي ! » ...

تدانت منه ، وهو يرنو اليها في رضى . ثم ... وأنه ، فجأة ، يقبل عليها ! أي تبدل ! ولكنه تجاوزها الى الباب ، يفتحه ! كاد لسانها يعلق : « الى متى ، ياعبده ? » . وقف بالباب لايبرحه . انه ينادي :

– ام محمود ! تعالي ، يا أم محمود !

آه ، الجبان يستغيث ! بدل أن تنطلق هي صرخة استغاثة ! أم أنه ينـادي ام محمود لتعاونه ?

– أنا أعاونك ، ياعبده !

قال يخاطبها بتأنيب :

– أقول لك : دعيه مفتوحاً !

تساءلت غير مصدقة : لماذا يظهر ، اليوم ، هذه القسوة كلها ? ووجدت نفسها تخاطبه ، في سريرتها برقة : « عبده ! ياملاكي ! اني أراك في منامي ! » . أتصارحه بما تراه في الليل ?

أقبلت أم محمود ، حاملة بين يديها الأوراق ..

ـ هأنذي جئتك ، يا عبده . هات لأرى .

قعد القرفصاء ، وقرفصت أم محمود قبالته .

ـ هذه فاصوليا بيضا .

سألته أم محمود :

ـ أو ني لحمة اليوم ! كانت لحمة البارحة ...

وفكرت ، وهي ترمقها ، في حقد : يملئي ! يتحدث في الأكل ولا يهتم بي ! بصرت الى جوارها بطبقة من الصحون النحاسية . عبده سلام لم يعد يهتم بها . تتمنى لو تتناول واحدا من هذه الصحون . وتهوي به على رأسه . لم هذا الخوف كله ؟ لم لا يسفر؟ قبلها الليلة الماضية ! إنه ، الآن ، وأم محمود يتحاوران . قبلها الليلة الماضية . ما زالا يتحاوران . أكياس تفرغ ، وأوان تملأ . قبلها الليلة الماضية . لم لايقبلها الآن ؟ تكرهه ! تسللت اليه رغم كل مانع . قبلها هنا ، في هذا المكان . ودنت منه . عندما قبلها الليلة الماضية ، كان في المطعم ، هنا ، مقرفصا هكذا ، كما هو الآن ! وكانت هي الى جواره كما هي الآن ! تحس الآن خوفا . لم تكن أم محمود ، في الليلة الماضية ، معهما .

ـ خذ الأكياس معك . تجمع منها عندنا عدد كبير .

ـ سآخذها .

لايحسان بوجودها . لايحس هو بوجودها . قبلها . ترك ، الليلة الماضية ، مافي يده ، فيما هي منعطفة عليه ، وقام ليمسك بها . قبلها من هنا ، من هنا .

أم محمود تقول ، وهي تغادر المطعم :

ـ لا تنس ، ياعبده : خذ الأكياس معك .

امتلأ فؤادها بالخوف . هي وعبده سلام ، وحيدان في المطعم !

هو ذا يمد يده نحوها . يمدها ، الآن ، في اليقظة ! يمدها حقيقة ! آه ، تخافه ! تشتاقه ! حدقت في يده الصاعدة اليها : ليس فيها ، الآن ، خيط !! إنه يقصدها ، هذه المرة ! أتراه يقصد صدرها ؟ ... خدها ؟ ... شعرها ؟ ... أخذت ، فجأة ، في إطلاق صرخة حادة مصدوعة . وهي ترى الى يده تتجه نحو الحائط !!

ـ ما بك ، يا سعدى ؟ ما بك ؟ ما بك ؟

أحست نداءه اللهيف أيتغلغل في أعماقها، حين كان العالم من حولها يستحيل الى . .
. . . .
. . . .

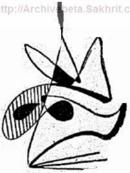
تحاول، على غير طائل، أن تفتح عينيها. إن صوتاً كصوت عبده سلام – ولكن مرهقاً – يتسرب الى سمعها:

– أردت أن . . . أرزم الأكياس . . . بخيط! مددت يدي الى . . . الحائط، المسمار . . . كانت هي بجوار الحائط . . .

فتحت، بجهد، عينيها.

وجدت نفسها موسدة على سرير المعاينة، في «إسعاف» المركز!

هي ذي ماما وداد، والاخصائية الاجتماعية، والمدير أقبل من قسم الذكور . . . وهو ذا عبده سلام يحكي، رافعاً يده . . . بخيط قنبي!



الامتحان

فاسيلي شوكشين

ترجمة دلال حاتم

قال مدرس الآداب بلهجة قاسية :

ــ لم هذا التأخير ؟

ــ أرجو المعذرة ، ولكن .. انت تعلم ، لقد اتيت من المصنع مباشرة و . . كان هنالك عمل عاجل . .

كان الطالب قد توقف بقامته المديدة ووجهه السمح ونظرته الهادئة على عتبة غرفة الدرس ولم يحاول ان يتقدم .

ــ خذ بطاقة . ماهو الرقم ؟

ــ سبعة عشر

ــ والأسئلة ؟

ـ السؤال الاول : اشعار الامير ايغور . والثاني . .

« وأحس الاستاذ بخجل لظهوره بهذا المظهر القاسي »

ـ انها بطاقة مهمة . هي السؤال .

وانحنى الطالب على الورقة وغرق في أفكاره .

ووقف الاستاذ يراقبه . لقد شاهد خلال حياته الطويلة آلافاً من الشباب، اعتاد ان يصنفهم جميعاً في زمرة واحدة : طلاب . ولكنهم جميعاً يختلفون في هذه الكتلة الضخمة : لا أحداً منهم يشبه ولو من بعيد شاباً آخر .

« كل شيء يتبدل . في الماضي ، كان بامكان الاساتذة ان يطلقوا على انفسهم لقب معلم ، اذ كان لكل منهم تلاميذه . اما الآن ، فاننا لسنا الا مرشدين » .

ـ هل انت بحاجة الى بعض الايضاحات ؟

ـ كلا شكراً .

واقترب المدرس من النافذة ، وأشعل لفافة تبغ . كان يريد ان يعمق الفكرة التي واتته عن معاني الأمس ، ولكن منظر الشارع استحوذ على انتباهه .

لقد هبط الليل . والشارع يموج بحياته اليومية : ضجيج وحركة ، ومرت حافلة ترام وعندما وصلت الى المنعطف انطلقت من قوسها حزمة من الشرر الاحمر . وتوقف صف عريض من السيارات أمام النور الأحمر . وبلمحة عين اصطفت السيارات على جانب الطريق . وغادر المشاة الرصيف . انها سرعة عامة . السيارات مسرعة ، والناس كذلك .

« ان الناس مسرعون دائماً . انهم يتابعون السرعة حتى عندما يمكنهم ان ينتقلوا الى سرعة تفوق سرعة الصوت ، الى أين تقود هذه السرعة الأبدية ؟ »

وتنحنح الطالب في مكانه ، وغادر الاستاذ النافذة .

— هل انت جاهز ؟ هيا ، اني استمع اليك

كان الطالب يمسك بين أصابعه الغليظة ورقة رقيقة : ورقة الاسئلة التي كانت تهتز باضطراب خفيف .

وقال الاستاذ لنفسه « انه خائف ، لابأس ياولدي ، هذا يحدث دائماً .. »

— ان اشعار الامير ايغور عمل أدبي عظيم ، انها تحفة ادبية ويعود تاريخها الى نهاية القرن الثاني عشر .. وقد صور الكاتب فيها كل آماله في . .

وعاد الاستاذ يحدث نفسه وهو يتفرس في وجه الطالب وقسمات وجهه المرسومة بوضوح « لابد ان مؤلف الاشعار كان شاباً » .

— .. كان الامراء منقسمين و .. اخيراً . انقسمت روسيا كلهـــا ، وعندما حارب البولونيون روسيا . .

وعض الطالب شفته ، وعقد مابين حاجبيه ، لقد أحس دون شك ان كل ماقاله سيء وليست له أية أهمية ، فاحمر وجهه .

ونظر الاستاذ الى تلميذه بغضب .

« انه لم يقرأ الكتاب ، كلا انه لم يقرأه واكتفى بقراءة المقدمة .مقدمة تافهة . آه ، هذه هي نتيجة الدراسة بالمراسلة . كان قد كتب فيما مضى ملاحظة حول هذا الموضوع ، ولكنه لم ينشرها . . وهـــذه هي النتيجة ، ان الامراء كانوا منقسمين » .

— هل قرأت الكتاب ؟

— أحم .. لقد تصفحته فقط ..

وقال الاستاذ بهدوء قاتل

— ألا تخجل من نفسك ؟ وسكت ينتظر الجواب

وضبغت حمرة الخجل وجه الطالب من رقبته حتى منابت شعره .

— لم يكن لدي الوقت الكافي ، العمل كثير ... وهناك طلبات عاجلة .

— إن عملك لا يهمني مطلقاً . ما يهمني هو الرجل ، الرجل الروسي ، الذي لم يجد وقتاً لقراءة أعظم عمل أدبي وطني . نعم ، هذا هو ما يهمني بالضبط ! —

لم يكن الأستاذ يملك الا الازدراء لهذا الطالب الممتلىء صحة .

وتابع قائلاً :

— هل أنت الذي قررت أن تتابع دروسك بالمراسلة ؟

ورفع الطالب رأسه ونظر نظرة حزينة الى أستاذه

— نعم ، بكل تأكيد

— وكيف كنت تعالج الموضوع ؟

— أي موضوع ؟

— دراساتك . إنك تريد أن تغدو شيئاً مهماً ، أليس كذلك ؟

وظل الاثنان يرمقان بعضهما فترة ، ثم قال الطالب وهو يحني رأسه

— لا يجب أن ...

— ما الذي لا يجب أن ؟

— لا يجب أن ... هكذا

وضرب الأستاذ ركبته بقبضة يده ووقف صائحاً :

— كلا ، ان هذا لا يحتمل ، حسناً ، انني لن اتكلم « هكذا » ولكن الذي يهمني ، هو ما اذا كنت تشعر بالخجل .

- نعم . انني خجل

- آه ، شكراً لله !

ومرت دقيقة دون أن يفوه أحدهما بكلمة : الأستاذ يتجول أمام اللوح الأسود يتمتم بكلمات مبهمة حانياً رأسه وكأن الغضب قد أعاد اليه شبابه ، والتلميذ جالساً بلا حراك وقد تسمرت عيناه على الورقة . كان الموقف صعباً وغير محتمل .

— هل يمكنك أن تطرح علي اسئلة أخرى ؟ لقد أعددت نفسي للامتحان .

— ماهو الزمن الذي كتبت فيه هذه الأشعار ؟

« ان الموقف قد جعل الأستاذ عصبياً وعنيداً كطفل صغير »

— القرن الثاني عشر ، نهاية القرن الثاني عشر .

— صحيح ، وماذا حدث للأمير ايغور

— سقط الأمير ايغور أسيراً .

— صحيح ، لقد سقط الأمير ايغور أسيراً . اوه ، يا الشيطان !

وعقد الأستاذ يديه ، ولاحت على وجهه ملامح الحزن لأن الأمير ايغور قد أسر . ولأن الحديث في هذا الموضوع اتخذ طابعاً بليداً . كان حزيناً متألماً لأنه زج بنفسه في هذا الحديث المدرسي مع تلميذه . والغريب أنه كان يود من أعماقه أن يعامل تلميذه بلطف ولكن غضبه عليه كان يتضاعف باستمرار .

— اوه ، ياله من حظ سيء ! وكيف نجحوا في أسره ؟

وقال التلميذ بنبرات سريعة وحاسمة .

— ضع لي العلامة التي أستحقها ، ولا تسيء إلي اكثر من ذلك .

ويبدو أن هذه اللهجة قد خففت من غضب الأستاذ ، فجلس . ان هذا الطالب يعجبه بكل تأكيد

ـ لنتحدث قليلا عن الأمير ايغور : كيف تحمّل الأسْر ؟ اجلس قبل كل شيء .

وظل الطالب واقفاً

ـ أأرجوك ، ضع لي أي علامة .

وأعاد الأستاذ سؤاله صارخاً وقد عاوده الغضب :

ـ كيف تحمل الأمير ايغور الأسر ؟ هل يعقـــل أنك لم تفهم حتى هذا ايضاً ؟ .

وظل الطالب واقفاً يرمق الأستاذ بعينيه الرماديتين الصافيتين

ـ نعم ، انني فهمته .

ـ حسناً ، ماذا فهمت ؟

ـ كنت أنا ايضاً في الأسر

ـ آه ، حسناً . . . كيف أسرت ؟ أين ؟

ـ في المانيا

ـ هل كنت في الحرب ؟

ـ نعم

ورمق الاستاذ تلميذه بانتباه ، وخيل إليه من جديد أن مؤلف الأشعار لابد أنه كان شاباً أزرق العينين ، شاباً عصبياً وحازماً .

ـ لمدة طويلة ؟

ـ ثلاثة أشهر

ـ ثم ؟

ـ ثم ماذا ؟

ونظر كل منهما الى الآخر متهيباً .

ــ اجلس ، لاتبق واقفاً هكذا . هل استطعت أن تهرب ؟

ــ نعم .

وجلس الطالب مرة أخرى ، وتناول ورقة الأسئلة من جديد . وقرأها. لم تكن لديه الا رغبة واحدة : أن يذهب بأسرع ما يمكن .

ــ كيف استطعت أن تهرب ؟ تكلم !

ــ في الليل ، أثناء التفتيش .

ــ أريد التفاصيل. تعلم أن تتكلم أيها الشاب! ان هذا مهم ايضاً. كيف استطعت أن تهرب ؟ أرجوك ، في الواقع أنا لا يهمني كيف تمت العملية ، إن ما يهمني هو الناحية النفسية . كيف كان شعورك؟ رهيب أن يكون الانسان أسيراً ! ــ وبــدا الألم على وجه الأستاذ ــ ولكن كيف تم الأمر ؟ هل أصبت بجراح ؟

ــ كلا

وصمت الاثنان

ــ اذن ، كيف ؟

ــ لقد حوصرنا ، إنها قصة طويلة جداً .

ــ أخبرني بها ! هو ذا شاب مشغول جداً .

ــ كلا ، ليس الأمر كذلك ، ولكن ..

ــ هل شعرت بالخوف ؟

ــ نعم ، بكثير من الخوف .

ــ آه ، نعم ، نعم

وأشعل الأستاذ لفافته: ــ بإمكانك أن تدخن! صحيح ان التدخين ممنوع في قاعة الدرس ولكن .. والنهاية ...

وابتسم الطالب

ــ كلا ، شكراً ، ليست لدي الرغبة في التدخين

ــ لا بد أنك تذكرت قريتك وأمك ؟ كم عمرك ؟

ــ ثمانية عشر عاماً .

ــ هل تذكرت قريتك ؟

ــ انني من المدينة .

ــ آه ، حسناً ! ظننت أنك من الريف .

وعاد الصمت يخيم من جديد : الطالب ينظر باستمرار الى ورقة الأسئلة المشؤومة والأستاذ يعبث بمبسم سجائره المصنوع من العاج وعيناه مسمرتان على الطالب باستمرار .

ــ وما هو الحديث الذي كان يدور بينكم ؟

ورفع الطالب رأسه سائلاً :

ــ أين ؟

ــ في الأمس .

ــ لا شيء ، ما الذي يمكن أن نتحدث عنه ؟ .

ــ يا للشيطان ! هذا صحيح .

وشعر الاستاذ أنه غلب ، فوقف ونقل مبسم سجائره الى اليد الأخرى ومشى عدة خطوات بجانب المنبر

ــ هذا صحيح ! ما اسمك ؟

ـ نقولاي .

ـ هذا صحيح ، هل فهمتني ؟

ـ ما هو هذا الصحيح ؟

وابتسم الطالب ابتسامة مهذبة ، ووضع ورقة الأسئلة . لقد اتخـذت المحادثة اتجاهاً غريباً ، لا يعرف كيف يحلله .

ـ الصحيح أن يلتزم الانسان الصمت ، ما الذي يمكنكم أن تتحدثوا عنه ؟ عند العدو ، يجب على الانسان أن يلوذ بالصمت فهذا منتهى العقل . هل تعرف كيف ؟ هل ذهبت اليها .

ـ كلا

هنالك حي يدعى بودول . يمكنك ان تبقى مدة طويلة تنظر اليه من الأعلى ، والمنظر الذي تكتشفه رائع حقاً . كنت في كل مرة انظر اليه يتملكني شعور بانني رأيته من قبل ، لا في حياتي الحاضرة ، وانما في الماضي ، هل تفهم ما أعني ؟ .

ولاح على وجه الاستاذ انه يعاني شعوراً مربكاً . كان يبدو وكأنه سيطلق فكرة اختزنها طويلاً في قلبه ، ولكنه لا يخشى ألا تفهم هذه الفكرة وأن يتكلم عنها كثيراً . وصوب الى تاميذه نظرة فيها الكثير من الحزم والقلق والتوسل .

وهز الطالب كتفيه :

ـ هذا صعب جداً .

ـ كيف ! ماهو وجه الصعوبة في الموضوع ؟

وبدأ الاستاذ يقطع الغرفة في خطوات سريعة وتابع قائلا وهو يضغط على كل حرف ينطق به

— يخيل الي ، انني وجدت منذ عهد بعيد ، في عهد ايغور . ولو كان هذا الشعور يعود الى سنواتي الأخيرة لعزوته الى تخريف عجوز ، ولكن هذا ماكنت أشعر به منذ صباي فما رأيك ؟.

وخيم صمت ثقيل . وكان هنالك رجلان يرمق كل منهما الآخر دون ان يفهما ماهو الشيء الذي سينقلانه الى دائرة النور .

— انني لا أجد لهذا الكلام علاقة واضحة مع حي بودول .

— ان ملاحظتك عن صمت الأسرى بدت لي معقولة تماماً . انني لم اقع في الأسر يوماً ، ولم اخض غمار الحرب . ولكن في بودول ، فهمت ولا ادري كيف تم ذلك كل مايتعلق بالحرب ، وقلت لنفسي يجب ان يلوذ الأسير بالصمت ، انني لم اصل الى هذه النتيجة بالسؤال (فقد قرأت عنها كثيراً فيما بعد) ولكن عندما كنت بين الأسرى فهمت وتعلمت اشياء كثيرة . فمثلا فكرت طويلا بالطريقة التي يمكن اتباعها للفرار من الحراس وخطر لي انه يجب قبل كل شيء ان نلقي الرعب في قلوبهم .

ونظر الطالب الى استاذه دهشاً مستغرباً .

— نعم يجب ان تزحف حتى تصل اليه دون ضجة ، ثم تطرح عليه بلطف سؤالاً ، كأن تقول له « كم الساعة الآن من فضلك ؟ » ان الحارس سيصاب حتماً بالدهشة منذ اللحظة الاولى وعندئذ يمكنك ان تنقض عليه .

وابتسم الطالب وأحنى رأسه وسأله الأستاذ :

— هل تفوهت بحماقة ؟ .

وأجاب الطالب بسرعة

— اوه كلا . . لماذا ؟ يلوح لي انني فهمت ماتعني .

وفهم الاستاذ « انه يكذب ، ولكن لايريد ان يجرح شعوري » .
وانهارت حميته وظن انه من الضروري ان يضيف بعض الكلمات .

ــ لقد خاضت بلادنا حروباً كثيرة ، حروباً قاسية ، اكثرها حروب وطنية يتحملها الشعب حتى الانسان الذي لم يدخل الحرب مباشرة يتقاسم مع الآخرين الآلام والمشاعر . ثق انني لم آخذ هذه الحقيقة من الكتب ، ولكنني شعرت بها أنا نفسي وظللت متأثراً بها .

وأخلد الاثنان الى الصمت بعد هذه الكلمات . ولكن لابد من العودة الى نقطة البدء ، الى أشعار الأمير ايغور ، الى هذا العمل العظيم الذي لم يقرأه الطالب ...

وطرح الاستاذ سؤالين آخرين :

ــ هل هربت وحدك من الأسر ؟

ــ كلا ، كنا سبعة .

ــ انني واثق انك تقول في نفسك « كم هو مزعج هذا الانسان ! » أليس كذلك ؟

ــ كلا مطلقاً ، اؤكد لك كلا .

واحمر وجه الطالب وخيــــل اليه ان الاستاذ قد قرأ أفكاره تماماً فعاد يقول :

ــ أؤكد لك أن ماتقوله يهمني جداً .

وانقبض قلب الاستاذ العجوز :

ــ حسناً جداً ، ايها الجندي ، حسناً جداً لقد فهمتني ، ولكن يجب أن

تقرأ الأشعار يجب أن تقرأها اكثر من مرة . يمكنني أن اقدم لك نسخة منها .. انها لدي هنا .

وسحب الأستاذ من محفظته أشعار الامير ايغور وفكر دقيقة . ثم نظر الى الطالب وابتسم ، وكتب بسرعة بضع كلمات على الصفحة الاولى وقدم الكتاب للشاب .

— ستقرأ ذلك فيما بعد ، لابد أنك لاحظت انني ارتبكت كخطيب سيء التهذيب أليس كذلك ؟

كان صوت الاستاذ حزيناً وقسمات وجهه حزينة ، ولم يعرف الطالب بم يجيب فاكتفى بهز كتفيه وقد بان عليه الضيق .

— هل بقيتم جميعاً على قيد الحياة ؟

— نعم

— وهل تتراسلون فيما بينكم ؟

— كلا ، إن . . .

— حسناً ، حسناً ، انني أفهم هذا ، كل هذه الأشياء الصغيرة يا صديقي العزيز ان هي إلا ملامح روسية ، ومع ذلك فانك لم تقرأ كتاب الأشعار ! إنه انشودة روسية ، اكثر الاناشيد الروسية روعة .

« الخيول تصهل على ضفاف نهر سولا ، وأغنيات النصر تتردد في كييف . الأبواق تعزف في نوفغورود ، والشجعان تجمعوا في بوتيفيل » . حسناً . ورفع الأستاذ اصبعاً في الهواء كأنه يصيخ السمع إلى المقاطع الأخيرة من الأنشودة الرائعة .

— أعطني من فضلك دفترك الجامعي .

وكتب الاستاذ العلامة ، ثم أغلق الدفتر وأعاده للطالب وقال له بلهجة جافة : الوداع .

وخرج الطالب من الغرفة ومسح جبينه ثم وقف لحظـــة دون حراك يرمق الدهليز الخالي . كان الدفتر بين يديه ، ولكنــــه يخشى ان يلقي نظرة ، وسيزداد شعوره بالخجل اذا وجد كلمة « جيد » او « جيد جداً » .

« إذا اعطاني درجة مقبول فهذا يكفيني » .

أخيراً ، وبعد نظرة أخرى الى باب الغرفة . فتح الطالب الدفتر بسرعة وتأمله طويلا ، ثم ألقى نظرة أخرى الى الباب واتجه الى الخارج وهو يبتسم بعد أن قرأ كلمة « سيء » .

وعندما أصبح في الخارج تذكر الكتاب ففتحه وقرأ الاهداء : اقرأ كثيراً ايها الجندي ، هذا ليس بالأمر السهل . الاستاذ غريغوريف .

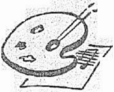
وألقى الطالب نظرة أخيرة الى نوافذ المعهد وخيل اليه انه رأى الاستاذ . كان الاستاذ يقف الى احدى النوافذ ، ينظر الى الشارع ، ينقر بأظافره على الزجاج وهو يفكر



مجموعات «المعرفة» المجلدة

يسر ادارة مجلة «المعرفة» أن تعلم قراءها واصدقاءها عن وجود كميات محدودة من مجموعات مجلة «المعرفة» منذ صدورها مجلدة – كل أربعة اعداد في مجلد واحد – وادارة المعرفة مستعدة لارسالها لطالبها بثمن ٢٠ ليرة سورية لمجموعة السنة الواحدة المؤلفة من ثلاثة مجلدات يضاف اليه اجرة البريد للخارج، حسب رغبة صاحب الطلب.

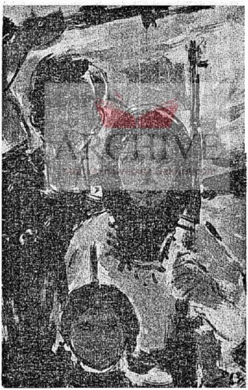
يرجى ان يكتب الى محاسبة مجلة «المعرفة» (وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي – دمشق) مع ارفاق الطلب بالثمن المذكور. والمحاسبة مستعدة لتقديم المعلومات اللازمة بشأن التحويل من الخارج والارسال بالبريد العادي او الجوي وفق الطلب.



الفنون

الكتاب والموضوعات

غازي الخالدي



رضا سحس

البندقية الى جانب القلم الى جانب الريشة تقف جنباً الى جنب للدفاع عن كرامة الانسان العربي وعن حقه في الحياة الحرة الكريمة ، وقد استوى مفهوم الفداء والتضحية لدى العامل والفلاح والجندي والفنان ، كل بوسيلته .

ومعروف عن الفنان أنه من اشد الناس حساسية واكثرهم تعاطفاً مع الاحداث الكبيرة التي تهز وجدانه من الاعماق لتنعكس الى لوحات واعمال فنية تعبر عن التجربة التي يعانيها بصدق .

وقد اثبت الفنانون في بلدنا انهم على مستوى المسؤولية ، ويمتازون بوعي قومي كبير ، فقد تنادى قبل العدوان الاسرائيلي الآثم بثلاثة ايام جميع الفنانين في القطر العربي السوري للمشاركة في حملة التوعية ، وايقاظ الضمير العالمي من اجل القضية العادلة ، ولم يمض ساعات على نشر النداء في احدى صحف دمشق حتى انهالت تواقيع الفنانين يؤكدون ايجابيتهم وتعاونهم لإقامة معرض فني شعبي اعلامي متجول يحمل طابع التظاهرة القومية عن طريق الوسيلة التعبيرية التي يملكها الفنان العربي السوري .

وبالفعل تم فتح ابواب مركز الفنون التطبيقية بدمشق لجميع الفنانين الراغبين في المساهمة بهذه التظاهرة الاولى من نوعها في القطر العربي السوري .

وبدأ الفنانون يتوافدون الى المركز وفي عيونهم شوق حار ، ورغبة جامحة لملء الساحة البيضاء التي امامهم بأقصى سرعة ممكنة ، وبأعنف احساس ثوري متدفق .. ووزعت اللوحات وبدأ العمل فوراً .

وانقلب المركز الى ثكنة فنية ، كان الفنان يرسم وكأنه محارب ، يلون وكأنه في معركة ، كلهم اعصابهم مشدودة الى الالوان الحمراء التي ألهبتهم حماساً وساعدتهم على ان يعبروا عما في نفوسهم من غضب وثورة وحقد مقدس .

وقد كان لهذه الانفعالات الصادقة والاحساسات التلقائية المباشرة اثر بعيد في مدى نجاح اللوحات التي قدمها الفنانون .

كان جو العمل مشحوناً بالمحبة والالفة والتعاون .. فقد اوجدت هذه الهزة القومية ردة فعل رائعة في نفوسهم .. فازدادت نفوسهم صفاء .. وزالت كل الاعتبارات الكلاسيكية المعروفة في فردية الفنان .. لقد كانت تجربة جديدة وناجحة للعمل الجماعي الفني .

ورغم اختلاف المذاهب الفنية واختلاف وجهات النظر النقدية بينهم .. كانوا جميعاً يعيشون في جو واحد ، واحساس واحد ، واتجاه فكري واحد .. وهو : القضية القومية من خلال احساس ثوري صادق ..

ونحن هنا عندما نناقش هذه الاعمال لايمكن مناقشتها من خلال المقومات النقدية المعروفة ، وانما نناقشها من زاوية واحدة فقط وهي مدى صدقها ، ومدى توضيحها للقضية العربية التي نناضل كلنا من اجلها ، والسبب في ذلك يعود الى ان طابعاً اعلامياً يسيطر عليها كلها ، بمعنى انها تلتزم جانب الشرح والتوضيح التاريخي والقومي والسياسي والعسكري والشعبي لمعركة التحرير المصيرية .

ماهي النتائج التي جنيناها من هذه التظاهرة الفنية القومية :

● اولاً : لقد اثبت الفنان ايجابيته الفعلية في المعركة ، واكد بمالا يدع مجالاً للشك ان الوسيلة التعبيرية التي يتمتع بها سلاح قوي وفعال في نفوس الجماهير ، لايقل دوره عن دور اي مناضل آخر .

● ثانياً : ان الصدى الذي تركته هذه اللوحات عندما عرضت لاول مرة في الشارع وعلى الرصيف العام كان جيداً ، وتعاطف الجمهور كان صادقاً ، فقد استطاعت هذه اللوحات ان تساعد على اثارة الاحساس بالمسؤولية القوميـــة ،

وبالتالي ساهمت في نشر الوعي السياسي لدى الجماهير . وقد كانت مفاجأة جميلة للمواطن ان يرى الفن يخرج لاول مرة من المتاحف والقاعات المضاءة بالنيون ليكون على اتصال مباشر معه في طريقه الى بيته او معمله او متجره !

● ثالثاً : ان طبيعة المعركة والهزة العنيفة التي اصابت وجدان الفنان العربي جعلت من هؤلاء الفنانين وحدة كاملة لا تتجزأ ، فقد تجمعوا وتعاونوا وبذلوا ما بوسعهم ليقولوا كل ما عندهم وبشكل جماعي ، وهذا التجمع اكد ان اللقاء والتعاون بين الفنانين امر وارد بالفعل ، خاصة عندما يكون الجميع مؤمنين بقضية واحدة . وهذا يبشر بالخير الكثير بالنسبة لفكرة تأسيس اتحاد عام للفنانين التشكيليين في القطر العربي السوري .

اما النتائج الفنية التي قدمها الفنانون في لوحاتهم فهي :

اولاً : قد يتبادر للذهن لاول وهلة ان الموضوع القومي مرتبط بشكل مباشر وملازم للمذهب الواقعي في الفن ، ويزداد هذا التلازم وثوقاً في الفن الاعلامي ، ولكن اصالة الفنان العربي السوري جعلته يقول كل ما يريد ضمن ومن خلال وسيلته التعبيرية ، فقد ظهرت لوحات تجريدية عبرت عن المعركة بشكل صادق وانفعالي وبسيط ، مثل لوحات فاتح المدرس : « قبية » و « دير ياسين » !

فلوحة قبية : بقعة حمراء ملطخة بآثار اصابع لطفل صغير ! ترمز بالطبع لمجزرة قبية ، وكذلك لوحة دير ياسين !

ومثلها ايضاً لوحة تمثل شعار اسرائيل وشعار الدولار الامريكي ، وفوقها آثار اقدام باللون الاحمر ! واللوحة لنذير نبعة !

وكذلك لوحة الى « اشكول وجونسون » رسمت بلونين فقط الاحمر والاسود وتمثل بقعتين حمراوين تطل من خلالها قصاصات صور تمثل شخصيات معادية للعرب . وفوق هذه الصور آثار اقدام ! واللوحة للؤي كيالي .

ومن ناحية أخرى ظهرت لوحات تعبيرية رمزية مثل أعمال خزيمة علواني حيث أخذ رمزاً للفلاح وهو يعود الى أرضه فلسطين متفائلا بالخير ومستشرقاً موسم الربيع على شواطىء حيفا . اما اللوحات الباقية فقد كان أكثرها واقعية لوحات نذير نبعة ، وممتاز بحرة ، ولعل لوحة (لن يمروا) لنذير كانت اقرب اللوحات الى الجمهور من حيث الوضوح ومن حيث المعالجة المبسطة ، ولوحة ممتاز (سنحاربهم باسناننا وباظافرنا) اعطت صورة حية عن مفهوم النضال الشعبي ضد الغزاة وقد استعمل ممتاز في لوحته البعد الثالث وحرك اشخاصه بطريقة صعبة تجاوز فيها حدود المساحة الزخرفية .

ثانياً : ظهرت محاولات تكنيكية خاصة كالملصقات (لؤي كيالي) والعربي الذي يبتلع الاسطول السادس (نذير نبعة) والنحاس المضغوط (هدى الايوبي) ، والخطوط الاجنبية المطبوعة على شكل اعلانات ضد الاستعمار (مصطفى ارناؤوط) سخرت هذه الامكانيات لتخدم التعبير القومي .

ثالثاً : بلغ مجموع اللوحات (٦٣) لوحة وزعت في ساحة (يوسف العظمة) بدمشق ورافقت فترة النضال البطولي التي عاشها شعبنا المناضل ضد العدوان .

رابعاً : لجأ بعض الفنانين الى الرسوم الكاريكاتورية التي تأخذ جانب السخرية وتركز باسلوب فيه ليونة الخط ورمزية الفكرة على المضمون القومي ، مثل لوحة (اخرجوا من بلادنا أيها الغزاة) لممتاز بحرة ، ولوحة (حريق العم سام بين الفيتنام وتحرير فلسطين) لبرهان كركوتلي .

خامساً : لقد تسابق الفنانون لانتاج اكبر عدد ممكن من اللوحات وذلك ليحققوا التوازن بين وجدانهم اليقظ وبين المعركة المصيرية .

وقد كانت الأعمال المعروضة بمجموعها تمثل الثورة والحقد وتدعو للنضال والمقاومة لتحرير البلاد من العدو الغاصب .

وتأكيداً لأهمية الدور الذي قام به الفنانون نسجل هنا اسماء الذين ساهموا في هذه التظاهرة الأولى من نوعها :

فاتح المدرس ، مصطفى ارناؤوط ، لؤي كيالي ، رضا محسن ، نذير نبعة ، ممتاز بحرة ، غياث الاخرس ، برهان كركوتلي ، نعيم اسماعيل ، ادهم قوطرش ، رضا زريق ، عبد السلام قطرميز ، نصير شورى ، الياس زيات ، خزيمة علواني ، فكتورين اوزون ، اسماء فيومي ، هدى الايوبي ، غازي الخالدي .

معرض حامد عبد الله :

ان اهميـــة وجود فنان عربي يعيش في اوربا في خضم الحضارة الغربية ويحافظ رغم كل التيارات المحيطة به على اصالته العربية وعلى نقاء فكره هو كسب كبير للحركة الفنية في الوطن العربي كله وهو جزء لا يتجزأ من النضال الحضاري الذي نواجه به التيارات الاستعمارية التي تأتي عن طريق الحضارة، ان رؤية معرض (عبد الله) لأول وهلة تثير الدهشة خاصة عندما نلمس هـــذه الامكانية المتعددة الجوانب .

لخص حامد عبد الله في معرضه ثلاثة مظاهر هامة :

١ — يمكن ملاحظة اللقاء بين الفكر الغربي والروح الشرقية العربية في اعماله حيث استفاد الى ابعد الحدود من الخبرات التقنية التي جاءت عن طريق التجريد وصاغها بمضمون عربي مثل اللوحـــات المستوحاة من الكتابة العربية (عبودية ، الحزينة ، عشاق ، الحزن) .

٢ — برهن هـــذا الفنان أن الفن سلاح في يد الفنان الاصيل للدفاع

عن القيم القومية . وقد استعمل هذا السلاح في باريس بالذات . هذه اللوحات عبارة عن كلمات حركها الفنان بحيث اعطت مدلولات تشكيلية خدمت المضمون وأعطت الحرف العربي قيمة جمالية . انه يبحث عن كلمات ثم يحركها حيث تعطي مدلولاً انسانياً يتناسب مع مضمون الكتابة نفسها مثل لوحات (صهيون) . انه لا يكتب الحروف بل يرسمه ، ويعطيه حجماً من خلال الحركة .

٣ ـ اوضح الفنان من خلال لوحاته (طلاسم) ، موقف الغرب وقلق الانسان المعاصر امام الصراع الذري،فلجأ الى اساليب تقنية مختلفة وعالج بها موضوعات تجريدية عديدة توصل فيها الى خبرات طوع فيها الصدفة وجعلها تلين بين يديه، بمعنىانه كان يبحث عن الصدفة في الالوان ليحركها حسبما يريد .

ان اعماله ترتفع من المستوى المحلي الى الطابع العالمي الانساني .



نذير نبعة

انه يبدألوحته باحثاً عن الاحساس وينتهي منها وقد وجد التكنيك الذي يحدد ذلك الاحساس ، لذلك اختلفت تجاربه التقنية باختلاف الموضوعات (لوحات الملصقات)

في سبيل

خلق فنّي أفضل

تقديم :

ميشيل كيلو

خلاصة الندوة التي عقدت في دمشق لمناقشة اعمال الفنان حامد عبد الله

أقيم في المتحف الوطني بدمشق معرض للفنان العربي المصري حامد عبدالله ضم حوالي ١٠٠ لوحة تمثل المراحل المختلفة لتطور هذا الفنان الذي ولد عام ١٩١٧ في القاهرة ، حيث درس في مدارس الفنون التطبيقية والصناعات الزخرفية ، وهو يعيش الآن في باريس مع زوجته الفنانة تميمة حليم ، بعد أن قضى عدة سنوات في كوبنهاغن .

وحامد عبد الله يعتبر واحداً من أولئك الفنانين العرب الذين نحن بحاجة ماسة الى تبادل الخبرات معهم ، فهو فضلاً عن كونه على اتصال وثيق بالفنون الأوروبية بحكم إقامته المستمرة في أوروبا ، يمثل إلى حد ما الفنان العربي الذي « يفتش باجتهاد وقلق عن خط خاص بالفن العربي » (فاتح المدرس) . لقد أبرز الاستاذ فاتح المدرس هذه الناحية في المعرض واعتبره « مناسبة ثمينة التعلم » ، خاصة وأن الفنان يدير الآن مدرسة خاصة للفنون في باريز همها نشر الفن العربي عالمياً وإطلاع الرأي العام الأوروبي على قضايا العرب المصيرية كقضية فلسطين وقضية الحرية والتحرر ، مستخدماً في سبيل ذلك الفن « كسلاح قاطع » (بيكاسو) ضد العدو ومظهراً للعالم أجمع (وقد عرض الفنان لوحاته في معظم بلدان العالم تقريباً) بشاعة العدو الصهيوني وكرس لذلك مجموعة من أعماله لفضح الصهاينة ، مما جلب له تهديدهم باغتياله إذا استمر بعرضها في أي بلد كان . ولم يقف

الأمر بحامد عند هذا الحد بل انه ابتكر في سبيل نشر الفن العربي نظام بيع لوحاته بالتقسيط مما أدى الى « ان المرء يستطيع ان يجد في بيوت اوربية كثيرة لوحات مرسومة بالخط العربي الذي صار شيئاً مألوفاً بالنسبة لكثير من الأوربيين » (روبير ملكي). وقد تحدث الدكتور عفيف البهنسي عن ناحية أخرى هامة في فن حامد عبد الله تتجلى في اسهامه في « تطوير معرفتنا حول الفن العربي الذي لانعرفه بعد كلياً كما ركز الاستاذ البهنسي على فكرة « اننا بحاجة الى ثائرين في الفن يزيلون غبار الرجعية عن وجه العبقرية العربية » ، واعتبر حامد « خلاصة جيل وسفير تاريخ » .

هذا ما يتعلق بالفنان نفسه ، أما اعماله فقد مرت بثلاث مراحل سواء أكان ذلك بالنسبة لتكنيكها أم محتواها ، مع العلم بأننا نلاحظ أن تطور التكنيك قد تم بسرعة أكبر من تطور المحتوى الذي بقي (بصورة عامة) ملتصقاً بالآمال والآلام التي تحرك الأمة العربية ، وبهذا يمكننا القول ان حامد عبد الله قد استخدم طرقاً فنية مختلفة للتعبير عن افكار متشابهة فاتجه في بداية تطوره الفني نحو الفن الفرعوني والبيئة الشعبية وأنتج عدة أعمال تمتاز (كالفن الفرعوني) بالبساطة والتعبير بخطوط مستقيمة ، أما الألوان التي يستخدمها الفنان في هذه المرحلة فهي متجانسة لا تظهر أي تدريج ، وقد امتازت لوحاته التي انتجها في هذه المرحلة بطريقة للعرض يمكن تشبيهها بالتحليل النفسي الذي يعتمد الألوان وسيلة للتعبير (لوحة البهلول) ، أما موضوعات اللوحات فهي مأخوذة من حياة الناس البسطاء الذين يقدمهم الفنان لنا بطريقة تشعرنا أنهم جزء من عالم يقسو عليهم دون ان يستطيعوا تغييره . انهم اما اولئك الذين لايملكون من أمرهم شيئاً (لوحة البهلول) ، او اولئك الذين يعطون للآخرين خير ماعندهم على الرغم من انهم لايدركون معنى ذلك ، ولهذا فهم يواصلون الطريق مغمضي الاعين (لوحة ـ الزوجان ـ) . في هذه المرحلة تتجلى

الروحانية الشرقية للفنان ويتجلى ارتباطه الشديد بمشاكل بلده وأمته . انـه لايزخرف شخصياته بل يعرضهـا بالوان متجانسة بسيطة وبطريقة أقرب الى الحفر والنحت منها الى التصوير ، أما من الجهة الاخرى فقد عمد الفنان في مرحلة لاحقة من تطوره (ضمن هذه المرحلة) الى عرض موضوعاته بطريقة جديـدة تعتمد على رسمها على الورق ثم لصقها بالغراء (الكلاكة) . هذا الأسلوب كان طريقة للتعبير عن الطريقة التي يرى الفنان بها العالم ، وقد لجأ الفنان اليه بعد ان تعمق في الفن الفرعوني وأدرك أن امكانات هذا الفن محـدودة لن تؤهل الفن العربي للانطلاق عالمياً . وعلى الرغم من أن ألوان هذه الملصقات أخذت تزهو شيئاً فشيئاً ، فانها كانت اقرب الى الطبيعة المصرية وأنجح من سابقتها في عرضها لقد انتقل الفنان مع هذا الاسلوب الى طريقة اكثر تجريداً من اسلوبه الانطباعي الأول . ولم يقصر موضوعاته على الناس ، بل تعداها الى الطبيعة .

بعد ان غادر حامد عبد الله مصر وذهب الى اوربا محاولاً نشر الفن العربي على مستوى عالمي ، عاد الى « اعظم تراث عربي » ، اي الى اللغة العربية « (روبير ملكي) . فحاول استخدام الحرف العربي « كنقطة انطلاق لتكوين جمل ورموز تتطور قدرتها التعبيرية على درجات لتعطينا عنـد اغلاق اللوحة تصوراً متكاملا عن الفكرة التي يحملها الرمز » (عبدالعزيز علون) . الكتابة ليست اذن غاية في ذاتها هدفها اظهار مافي الخط العربي من قدرات جمالية قد تحاكي في الشكل مع كثير من الموضوعات التي تحيط بنا او قـد تكون متضمنة في معنى الكلمة العربية بصورة مسبقة . انه يستخدم الكتابة لتفسير العالم من حوله واعطائه معنى قد لايكون متضمناً دائما في الكلمة المرسومة كما فعل في لوحة الصهيونية التي اظهر فيها الى جانب مقدرة اللغة العربية على التعبير الجمالي ، الحقيقة القائلة ان اليهود شعب محكوم عليه بالذل والمهانة . وهي الحقيقة التي جاءت في معظم الكتب المقدسة (وعلى رأسها التوراة) فرسم الفنان من حروف الكلمة (الصهيونية)

رجلا خافض الرأس مقصوم الظهر وكأنه يزحف امام قدرة جبارة لاسبيل الى صدها ، فجاءت هذه اللوحة مثالاً ناجحاً على قدرة اللغة العربية على حمل مضامين معقدة محددة تاريخياً. ان الخط في لوحة الفنان ليس مركباً تركيباً بل هو عمادها، ولهذا « فليس من الممكن تصور اللوحة بدون الكتابة او تصور الكتابة بدون اللوحة » (غازي الخالدي) .

اما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الأخذ بالتكنيك العربي الحديث الذي يعتمد التجريد وسيلة للتعبير ، وهي مرحلة تحمل صفتي مرحلة الكتابة ومرحلة الفن الفرعوني والملصقات . ان الفنان يتحرر من التجارب المحلية ويريد معانقة الفكر الأوروبي الحر ، فهو يبتعد عن بيئتنا دون أن يعني ذلك أنه يهجر تكنيكه القديم كلياً . أما موضوعات لوحاته فهي تبتعد كذلك شيئاً فشيئاً عن البيئة المحلية لتتركز على محتويات عالمية انسانية تعبر عن القلق الذي يعيش فيه الإنسان الحديث في المجتمعات الأوروبية (لوحتا التحدي والشجرة) . في هذه المرحلة يترك حامد محاولاته السابقة المنصبة على خلق فن قومي عربي ذي صفة عالمية ، ليجرب حظه مع الفن الغربي الحديث . لقد أضاع الفنان للأسف خطه المحدد وأخذ يضرب في متاهة من التردد والحيرة بين أساليب مختلفة ، دون أن يوفق الى الاستقرار على أسلوب معين يعينه على تحقيق ما كان يصبو إليه دائماً وهو عالمية الفن العربي (هذا أيضاً درس للفنانين !) .

لقد قدم حامد عبد الله فناً عربياً متطوراً مدروساً يمثل محاولة لتمهيد الطريق ، طريق العالمية ، أمام الفن العربي ، وقد نجح في المحاولة ، وان تكن الطريق أمام عالمية الفنّ العربي ، مازال طويلة وشاقة .



الحرية ٨٨ × ٤٥ سم ألوان بلاستيك على كرتون

حول النشاط المسرحي

في تركيا

عبد الوهاب السمان

نرجع بالتاريخ الى القرن الحادي عشر .. وبالتحديد الى عام ١٠٧١ م أي بعد خمس سنوات فقط من غزو النورمانديين لبريطانيا . فنجد أن ثمة غزواً آخر قام به السلاجقة لسهول آسيا الوسطى وانتشروا هناك في كل حدب وصوب، ثم استقروا في تلك الأرض الجديدة يواصلون الحياة فيها . وكان لهؤلاء السلاجقة ولع كبير باستعراضات ألعاب السيوف والخيول، ولهم في ذلك عادات وتقاليد .. كما تطربهم كثيراً الوان الغناء الفردي والجماعي .. ويعجبون ايضاً بالمجادلات والمحاورات العلنية التي يمكن ان نعتبرها نسبياً « مسرحيات » مرتجلة ذات فصل واحد .

وظهر أثر هذا الفن الوراثي في ولع العثمانيين انفسهم بفنون الرقص الحماسي والغناء الفردي والجماعي والمجادلات المرتجلة التي كانت تعبر عن نوع خاص من ألوان الفن الدرامي . لذلك فقد تكونت في كل فصيلة في الجيوش العثمانية فرقة

تقدم هذه الاستعراضات ، كما ان بعض الفصائل كانت لها فرقة خاصة من الممثلين والراقصين والمغنين المحترفين .

أما السلطان وحاشيته فكانت لهم فرق عدة من الفنانين الذين كانوا يصاحبونهم اينما حلوا ، حتى في اثناء الغزوات وعلى مشارف معسكرات الأعداء ..

وفي المدن ، تكونت فرق أخرى لادخال السرور الى المجتمع بقطاعاته المختلفة . وظل هذا الطابع الفني يتدرج في الهبوط مع طبقات الشعب حتى انتشر بين كل الصناع والفلاحين واصحاب الحرف ومن دونهم من الطبقات الأخرى ، وهكذا اصبح الشعب بأجمعه يجد لنفسه الفرصة ليتمتع بضروب مختلفة من الفنون.

وقد ترك فنانو البلاط العثماني ورساموه لوحات ذات قيمة أثرية ضخمة ، تبين الى حد كبير طبيعة هذه الاحتفالات والاستعراضات ، كما أن الكتاب والأدباء الأتراك والأجانب قد أبدعوا في وصف الاحتفالات التي كانت تقام آنئذ ، لا سيما ما كان يتعلق منها بانتصارات الجيوش وفتح البلدان ، وكانت اضخم هذه الاحتفالات والافراح ما أقيم في عهد سليمان الأكبر سنة (١٥٣٠) وما اقيم بمناسبة فتح بغداد في القرن السابع عشر ..

الدراما المرتجلة :

ويهمنا أن نعرف شيئاً عن حالة الفنون الدرامية في ذلك الحين .. وهل كانت هناك اعمال درامية بالمعنى المفهوم ، وقواعد علمية تحكم هذه الاعمال ، أم كانت مجرد مجادلات تلقى ومساجلات تنشب دون رابط فني او بناء مقصود سابق .

لقد اثبتت الأوصاف التي تركها مؤرخو هذه الفترة ، ان ثمة نوعين من التمثيليات كانت تقدم أثناء هذه الاحتفالات .. وجاء في الوصف الذي كتبه احد المؤرخين ان هذه التمثيليات كانت فكاهية في اغلب الاحيان ،

ويقوم بها الممثلون الرجال وحدهم ، ولم تكن هناك نصوص مكتوبة ، بل كان الممثل يعتمد على البديهة والذكاء والقدرة على ابتكار الحوار الذي يدور بينه وبين ممثل آخر يبادله المساجلة والجدال ، ويكون الغالب منهما من يستطيع ان يجعل من زميله مثار سخرية المشاهدين .

وظل هذا النوع من التمثيليات الارتجاليـــة يميز الاعمال الدرامية في تركيا حتى اواخر القرن التاسع عشر .

التيارات الاوروبية :

وفي خلال ذلك القرن ، توافدت الفرق المسرحية الاوربية الى استانبول وقامت بعرض رواياتها ومسرحياتها باللغتين الفرنسية والايطالية ، غير ان الاتراك الذين يفهمون هاتين اللغتين كانوا قلائل ، مما جعل من الضروري تقديم موجز باللغة التركية للمسرحيات المعروضة يتضمن موضوع المسرحية وأهميتها واسماء شخصياتها .. وظل الحال كذلك حتى قرابة منتصف القرن ، ثم عرضت اول مسرحية فرنسية مترجمة الى اللغة التركية .

وفي عام ١٨٤٥ قدمت في استانبول رواية بومارشيه الخالدة « حلاق اشبيلية » قبل ان تقدم في أية عاصمة اوربية خارج باريس . كما اشتهرت في استانبول ايضاً اوبرا « كافالاريا روستيكانا » لماسكانيي قبل ان تعرفها باريس نفسها بمدة طويلة .

مسرح السلطان :

لم يكن في العاصمة في ذلك الحين الا مسرحان خصصا للفرق الاوربية وحدها . ونظراً لأن السلطان عبد الحميد كان حليفاً للملكة فكتوريا في حرب القرم ضد روسيا القيصرية ، فقد توافدت على العاصمة فرق مسرحية من انجلترا

كانت تقدم مسرحيات شكسبير وغيره من المؤلفين الانجليز وقد تعود السلطان ان يتردد الى كل من هذين المسرحين في كل اسبوع ، تصحبه حاشيته باجمعها ، وكثيراً ما كان يشاهد هذا الموكب السلطاني وهو يشق شوارع العاصمة متوجهاً الى احد المسرحين ، وعلى طول الطريق كانت تعلق الرايات والزينات وتعزف الموسيقى ، وتصطف فرق الجيش وفصائل الحرس بالبستها الزاهية وبهرجتها الكاملة.

وعلى الرغم من أن السلطان كان يفرح كثيراً بهذا الموكب الحافل ، إلا أنه كان أمر ببناء مسرح خاص يلحق بقصره « ضولمة بغشا » سرعان ما تم بناؤه وأخذ يستقبل اشهر الفرق المسرحية الأوروبية كما كانت تعزف فيه الفرقة الموسيقية السلطانية .

مسرح الشرق :

وكان لبناء هذا المسرح السلطاني الخاص رد فعل بين الشعب ، وبين الطبقات المثقفة على وجه الخصوص ، إذ سرعان ما تعاونت جماعة من صغار الشعراء والادباء الاتراك ، فاخذوا يجمعون التبرعات ويزيلون العقبات حتى انشأوا في النهاية « شرق تياتروسي » اي مسرح الشرق ، وخصصوه لنشاطهم بالاضافة إلى ما تعرضه الفرق الاجنبية التي استضافوها بانفسهم ..

والعجيب ان هؤلاء الشبان الاتراك كانوا يمثلون الروايات التي يقدمونها بلغتها الأصلية مع الاستعانة بموجز للمسرحية باللغة التركية كان يوزع قبل العرض ، ورغم ذلك فقد نجحوا في تقديم العديد من مسرحيات موليير وفيكتور هوغو وشكسبير وراسين . ولم يمض عامان على هذا النجاح حتى ترجموا هذه المسرحيات الى اللغة التركية وكانوا يستعينون على اخراجها بالمخرج الايطالي آستن . .

وفي سنة ١٨٦٠ نشرت مسرحية « زواج الشاعر » من تأليف الأديب التركي « سيناسي » فكانت اول مسرحية تركية نصاً وروحاً، وسرعان ما لاقت نجاحاً كبيراً على مسرح الشرق .. ورغم ان سيناسي هذا كان على رأس الادباء الرواد الذين فتحوا الطريق امام غيرهم فانه لم يصب من الشهرة ما بلغه غيره من الكتاب الاتراك .

المسرح والحركة الوطنية:

وكان هؤلاء الادباء الشباب والشعراء اعضاء في جماعة سياسية كانت تعرف باسم « الشباب العثمانيين » لذلك اتسمت رواياتهم بروح التحرر والانطلاق وهي نفس الروح التي ظهرت في مسرحيات الكتاب الأوروبيين المعاصرين .

وكان الأديب « نامق كمال » على رأس فئة من الكتاب الاتراك اشهرهم رفعت منستيري ، وعلي حيدر ، وحسن بدر الدين ، واحمد مدحت ، وشمس الدين سامي ، وعبد الحق حامد ، وقد نجح هؤلاء الكتاب في تقديم عشرات من الروايات الساخرة الناقدة للنظم التركية السائدة ، وقوبلت مسرحية « الوطن » التي كتبها نامق كمال بحماس شديد من طبقات الشعب المختلفة ، حتى أن الناس كانوا يخرجون من المسرح على هيئة مظاهرات تهتف بالحرية وبحياة نامق كمال نفسه .

وواصلت هذه الجماعة نشاطها الأدبي والمسرحي عدة سنوات حتى أمر السلطان عبد الحميد بالقبض على نامق كمال وبعض الادباء والشعراء الآخرين وعوقبوا بالسجن واغلق مسرحهم .. ومرت فترة ركود فكري الى ان صدر الدستور الثاني عام ١٩٠٨ الذي اتاح للحركة الفكرية مجالا للانطلاق ، واتاح للمسرح فرصاً جديدة ليختبر نفسه .

وإثر ذلك تكونت فرق عديدة من هواة المسرح ، اخذت تمارس نشاطها في استانبول ، كما أن الشعب التركي قد ذاق بنفسه طعم هذا النوع من التسلية وأدرك أثره ومغزاه .. وتهيأت الفرصة آنئذ لمحاولة انشاء معهد خاص للفنون الدراميـــة ، واستدعي اندريه انطوان مدير المسرح الفرنسي الحر ، وأوكلت اليه مهمة انشاء هذا المعهد وتدريب طلابه ، ولكن احداث الحرب العالمية الأولى التي نشبت حينذاك وعودة اندريه انطوان الى فرنسا تسببتا في انهاء العمل في المعهد والقضاء عليه في مهده .

وفي سنة ١٩١٥ اعيدت المحاولة وانتهت بانشاء مسرح يتبع بلدية استانبول ، وكان هذا المسرح دعامة اساسية طفرت منها مختلف الوان النشاط المسرحي في تركيا منذ ذلك الحين حتى ايامنا هذه . وعلى خشبة هـذا المسرح وقف رواد فن التمثيل الاتراك امثال : حازم كورمو كن ، ونيير نيير، وبهزت لوتاق ، ومحسن ارطغرول ، وغالب أرسان ، وبيديا موحد .

ونود أن نشير هنا الى ان الممثلين الرجال كانوا يقومون ايضاً بادوار النساء ، وان المرأة التركية ظلت بعيدة عن النشاط المسرحي حتى ثلاثينات القرن العشرين . وظل الحال كذلك الى ان ظهرت « بيديا موحد » اول ممثلة تركية واجهت الجمهور في سنة ١٩٢٣ ومثلت امام اتاتورك نفسه وكان ذلك بعد مرور ٢٥٨ عاما على قيام اول امرأة انكليزية بتمثيل دور ديدمونة في مسرحية عطيل لشكسبير .

المعهد القومي الكونسر فتوار :

وانتشرت نوادي الهواة في معظم المدن التركية ، وبلغ عددها حوالي ٥٠٠ ناد تجمع اكثرها في انقرة ، ثم انشيء في سنة ١٩٣٦ المعهد القومي للكونسر فتوار واصبح قصره في العاصمة الجديدة .

وتولى التدريس في هذا المعهد نخبة ممتازة من اساتذة الفنون الدرامية من المانيا واستراليا وايطاليا والمجر ..

وانضم للدراسة فيه الطلاب والطالبات من مختلف جهات تركيا ، ومدة الدراسة فيه خمس سنوات ، يتخرج بعدها الطلبة متخصصين في التمثيل او الانشاد او الموسيقى او الاخراج او النقد .

وكان من اثر تلك النهضة المسرحية ان ترجمت الى اللغة التركية اكثر المسرحيات العالمية الكلاسيكية ابتداء من مسرحيات سوفوكليس حتى مسرحيات هنريك ابسن ، كما ترجمت ايضاً نخبة مختارة من المسرحيات العالمية المعاصرة وعلى وجه الخصوص مسرحيات نويل كوارد وآش ميلر .

ويعود الفضل الاول لخريجي هذا المعهد في انشاء فرقة المسرح القومي عام ١٩٤٧ ، هذه الفرقة التي تتكون الآن من اكثر من خمسين ممثلا وممثلة مدربين تماماً على اصول المسرح ، ويعتبرون في الوقت نفسه حجر الزاوية الذي تدور حوله مظاهر النشاط المسرحي في تركيا .

مُستشرقو طشقند

يدرسون الآثار العربية

بقلم المستشرق السوفييتي
د. عبد الصّادق إيريسّوف

كانت اللغة العربية احدى اللغات العلمية السائدة في مايسمى اليوم اوزبكستان . وكان المثقفون القلة في ذلك الوقت ، يجيدون اللغة العربية اجادة تامة ويتراسلون بها . كانوايدرسون اللغة العربية في المدرسة . وكان على الاطباء ان يتقنوا هذه اللغة ليدرسوا كتاب القانون في الطب لابن سينا ، الذي كان مصدراً رئيسياً من مصادر دراسة الطب في ذلك الزمان . لهذا فان اكثر المخطوطات التي توجد في معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم في اوزبكستان ، هي باللغة العربية . واذا كان يوجد في معهد الاستشراق كما يقول المختصون ، اكثر من ٥٠٠٠٠ مخطوطة ، فان اكثر من نصف هذه المخطوطات

مكتوب باللغة العربيـة . وبعض هذه المخطوطات نادر وقديم (من القرن التاسع).

وقـد بذل المستعربون في طشقنـد جهدهم المتواضع لدراسة الآثار الادبيـة لشعوب آسية الوسطى والمشرق العربي. ذلك ان دراسة هذه المصادر الادبية انما هي دراسة التركة الحضارية لهذه الشعوب. وهذا ما يفسر الاهتمام الكبير بدراسة حضارة وادب القرون الوسطى .

وقد قام مستعربو طشقند العاملون في معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم في اوزبكستان السوفياتية (انشيء المعهد سنـة ١٩٤٣ وسمي آنذاك معهد المخطوطات الشرقية) بدور طليعي في في دراسـة وترميم كثير من المخطوطات العربية المحفوظة في المعهد . ووصفوها ورتبوا فهارس لها . وقد نشرت فهارس المخطوطات الشرقية في سبعة اجزاء .

وفي سنة ١٩٤٩ ، وبمناسبة الذكرى الـ ٩٠٠ للعالم الخوارزمي الكبير ابي ريحان البيروني ، نشرت مجموعة مقالات باللغة الاوزبكية وباللغة الروسية عن الدراسات الرئيسـة لابحاثه التي كتبها باللغة العربيـــة . والمجموعة مكرسة لجوانب متعددة من مؤلفاته مع مقتطفات من هذه المؤلفات .

وبعد هذا بقليل نشرت ترجمة الى الاوزبكية مع النص العربي لمراسلات العالمين الكبيرين البيروني وابن سينا في المسائل الفلسفية .

وفي سنة ١٩٥٢ قامت اكاديمية العلوم في اوزبكستان بدورة محاضرات علمية مكرسة للذكرى الالف لابي علي بن سينا . وقد نشرت مواد هذه الدورة في مجموعة ابن سينا . وفي ١٩٥٥ نشر صادق ميرزاييف ، وهو احد المتمكنين من اللغة والادب العربيين ، كتيب « فهرست مؤلفات ابن سينا المحفوظة في معهد الاستشراق في اكاديميـــة العلوم في اوزبكستان السوفياتية » . وذكر المؤلف فيه جميع اعمال ابن سينا الموجودة في المعهد مع مختصر لموضوعاتها وشروحه عليها .

واصدر العاملون في معهد الاستشراق

بمساعدة الاطباء، كتاب ابن سينا الهام « القانون في الطب » مترجماً عن العربية الى اللغتين الروسية والاوزبكية . وقد صدر الجزء الاول من هذه الترجمة سنة ١٩٥٤ ، والجزء الخامس والاخير سنة ١٩٦٠ ؛ وفي المؤتمر العالمي الـ٢٥ للمستشرقين الذي عقد في موسكو ، كانت هذه اول واتم ترجمة الى اللغة المعاصرة لأثر من آثار العالم العظيم الكلاسيكية في الطب، فالترجمة اللاتينية لـ « القانون » في الربع الاول من القرن ١٦ لم تجب مطالب الاطباء المعاصرين .

ولا يمكن في مقال قصير تعداد جميع الدراسات العلمية التي قام بها مستعربو اوزبكستان وجميع الاعمال التي نشروها . فهي كثيرة جداً . وكثيراً ما حدث ان كان مستعربو نا في عداد مرممي المخطوطات .

ويوجد في معهدنا كتاب قديم جداً هو « الاشارات والتنبيهات في المنطق والحكمة » لابن سينا . ويبدو أثر الزمن عليه فقد اصفر واهترأ وكان من الصعب جداً استعماله . وهو، إلى ذلك، مكتوب بخط يصعب فهمه . وقد اعاد كتابته واحد من المستعربين الخطاطين هو يونس حكيمجان ، بخط جيد ، واستند في معرفة الامكنة غير المفهومة الى مصادر عديدة . وهكذا بدأت حياة ثانية للمخطوطة .

ولا يسعنا الا ان نذكر العمل الآخر الذي قام به احد العاملين في المعهد . فقد اصدر المستعرب القدير الدكتور عبد الله كريموف الكتاب غير المعروف لابي بكر الرازي « سر الاسرار » . واليكم قصة هذه الدراسة : اكتشف عبد الله كريموف في المعهد مخطوطة ابي بكر الرازي الوحيدة « كتاب سر الاسرار » وقارنها بمؤلف الرازي الآخر « كتاب الاسرار » المحفوظ كذلك في طشقند . ترجم كريموف المخطوطة الى اللغة الروسية ، وشرحها شرحاً مفصلاً ونشر ، علاوة على ذلك ، نص كتاب الرازي .

ونتيجة لهذا اتضحت مسألة اصل هذين الكتابين وضوحاً كاملا. فحتى ذلك الحين كانت هذه المسألة موضع أخذ ورد بين البحاثة. وكان كثير منهم يؤكد ان كتاب « الاسرار » وكتاب « سر الاسرار » هما تسميتان لكتاب واحد. وقد اوضحت دراسة كريموف ان هذين الكتابين مختلفان.

وجهز معهد الاستشراق للطبع ترجمة مؤلفات ابي ريحان البيروني من اللغة العربية الى اللغتين الاوزبكية والروسية نشرت منها حتى الآن الاجزاء الاول والثاني والثالث وفيها : الآثار الباقية عن القرون الخالية وتحقيق ما للهند وتحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن. وسيليها مؤلفه الهام في الفلك « قانون المسعودي » و« كتاب الصيدلة ».

وقد دافع احد مستعربي معهدنا الشباب، عصمة الله عبد اللايف، عن اطروحة موضوعها « الشعر العربي في بخارى في القرن العاشر » استناداً الى كتاب يتيمة الدهر للثعالبي.

وأصدر حميد الله حكمة لايف كتابا عن مؤلف الادوية القلبية الذي كتبه ابن سينا باللغة العربية. اما مدير القسم العربي في كلية الشرق لجامعة طشقند باقي خالدوف، الذي اصبح كتابه المدرس في اللغة العربية مصدراً هاماً من مصادر دراسة اللغة في الاتحاد السوفيتي، فانه يدرس الآن آثار ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري من خوارزم (١٠٧٤ — ١١٤٤).

وترجم المستعرب الموهوب صالح مطاليوف من اللغة العربية الى اللغة الاوزبكية مؤلف محمود كاشغري « ديوان لغة الترك » في ثلاثة اجزاء، ويكتب هذا المستعرب الآن دراسة لهذا الأثر اللغوي.

ونشرت في طشقند كذلك ترجمة من العربية الى الاوزبكية للابحاث الفلسفية لفيلسوف الشرق الكبير أبي نصر الفارابي، وآثار ابن سينا : حي ابن يقظان، رسالة الطير، سلامان وابسال.

وتقوم معاهد اللغة والادب والفلسفة والحقوق التابعة لأكاديمية العلوم في جمهورية اوزبكستان السوفياتية وغيرها من مؤسسات البحث العلمي، بجهود ضخمة لدراسة آثار الماضي. فالى جانب ترجمة اهم مؤلفات ابي نصر الفارابي ومؤلفه الرئيسي عن نظرته الفلسفية، نشرت دار «فن» التابعة لأكاديمية العلوم في اوزبكستان، سلسلة من الكتب عن كلاسيكيي العلم والثقافة في الشرق لتعريف الجماهير الواسعة بهم. وقد نشرت كتب «أبي ريحان البيروني» (١٩٦٠) و«أبي علي بن سينا» (١٩٦٠) و«أبي نصر الفارابي» (١٩٦١) و«محمود كاشغري» (١٩٦٣) و«اربعين عالما من آسية الوسطى» (١٩٦١) و«البيروني والهند» (١٩٦٣) و«محمد موسى الخوارزمي وابو نصر الفارابي» (١٩٦٢) و«أبي العلاء المعري» (١٩٦٦) و«ياقوت الحموي» (١٩٦٥) وغيرها. وكان عدد النسخ يتراوح بين ١٥ – ٢٠ الفا.

وقد عرف شعبنا منذ زمان طويل الكتاب الشهير «الف ليلة وليلة» الذي طبع مرتين في بداية هذا القرن وترجم مرتين الى اللغة الاوزبكية. لكن الترجمة قدمت طبعاً ولم تعد تستجب لروح الزمن. فبدأت دار «طشقند» للنشر بنشر الكتاب كاملا في ثمانية اجزاء قام بترجمتها مستعربو طشقند. وكان من نصيب كاتب هذا المقال ترجمة احد هذه الأجزاء من العربية الى الاوزبكية.

ويتزايد عندنا مع الزمن الاهتمام بالعالم العربي. وكان يمكن أن اتوقف عند الكتب التي نشرت عن البلاد العربية والترجمات من العربية الى الروسية وغيرها من لغات شعوب الاتحاد السوفيتي بما فيها الاوزبكية. لكننا هنا في معرض الكلام عن الآثار الأدبية ونحن نقتصر على ذكر بعضها فقط. فمثلا صدرت منذ زمن مجموعة من قصص الكاتب محمود تيمور (١٩٥٨) ومجموعة قصص للكتاب

العرب (١٩٥٧) ، وقصص الكتاب السوريين (١٩٦١) وقصص الكتاب اللبنانيين (١٩٦٢) وقصص الكتاب السودانيين (١٩٦٦) وقصص الكتاب العراقيين والجزائريين ، كما صدرت مجموعات عديدة من اشعار الشعراء العرب. وترجمت منذ زمن ليس ببعيد رواية الكاتب الجزائري محمد ديب : البيت الكبير ، وحولت الى مسرحية باسم « الجزائر — ياوطني » مثلت على مسرح حمزة في طشقند فلاقت نجاحاً كبيراً .

ان مستشرقي اوزبكستان لا يدرسون آثار الماضي فقط بل يحاولون دراسة آثار الحاضر لفهم حياة وحضارة الشعوب ولتقييم ما صنعته وما تخلقه ايدي الناس ، وما يمكن ويجب الحفاظ عليه بالتفاهم والتعاون بين الناس .



رسـالة لنـدن

من حسام الخطيب

تشرشل بين التاريخ والمسرح :

في نيسان الماضي رفضت إدارة المسرح القومي في لندن الموافقة على اخراج مسرحية (الجنود) من تأليف الهر رولف هوتشوث Herr Rolf Hochhoth بعد ان كان السير لورنس اوليفييه ، المدير الفني للمسرح ، قد وافق عليها وامتدحها .

ولجنة المسرح القومي مؤلفة من شخصيات بريطانية بارزة مسلحة بألقـاب عريضة ومراكز سياسية او ادبية حساسة ، وقد أثار موقفها جدالا عنيفاً حول حقها في رفض او اختيار المسرحيات ، وقال لورنس اوليفييه ان اللجنة لهـا ان ترسم الخطوط العريضة للسياسة المسرحية اما اختيار الأعمال المسرحية فهو من حق الفنيين . وردت اللجنة بأنها لم تبحث في النواحي الفنية وانمـا رفضت المسرحية لاعتبارات قومية، وهذا من حقها .

وقد عنيت الصحف البريطانية بمتابعـة الازمة ولم تكتف بالتعليق عليها في الصفحات الأدبية بل احتلت أخبارها أعمدة في الصفحات الاولى من الجرائد الكبرى كالتايمز مثلا، بسبب تشابك القضايا الفنية والسياسية والتاريخية التي طرحتها الازمة .

ان المسرحية تمثل حياة السير ونستون تشرشل ، وتقول اللجنة إنه مثل تمثيلا سيئاً في المسرحية وكذلك زميله اللورد تشرويل Cherwell ، ولعل اللجنة نقمت على المؤلف لأنه

نسب اغتيال الجنرال سيكورسكي الى تشرشل. وسيكورسكي هو رئيس الوزارة البولونية في المنفى اثناء الحرب وقد قتل في حادث تحطم طائرة بالقرب من جبل طارق سنة ١٩٤٣ .

وبالرغم من أن المؤلف ابدى استعداده لتغيير النقاط موضع الاعتراض في المسرحية وبالرغم من اصرار اوليفييه على اخراج المسرحية بالتضامن مع المدير الاداري للمسرح (تاينان Tynan) فان حل العقدة يبدو صعباً لأن الهر هوتشهوث سبق له ان أثار خلافاً دينياً كبيراً حول روايته (الممثل The Repres:ntative) التي وجه فيها الى البابا بيوس الثاني عشر تهمة الإغضاء عن مذابح النازيين في اوروبا .

والرواية ذات طابع كلاسيكي فكري وهي تطرح للمناقشة كثيراً من المفاهيم السياسية السائدة ، وفي رأي السيد تاينان ان هدف المؤلف في المسرحية تأكيد عظمة تشرشل لا الانتقاص منها ، خلافاً لما فهمه اعضاء اللجنة ، والانسان لايمكن ان يخرج من قراءة المسرحية الا وهو مقتنع بأن تشرشل رجل عظيم ، وان كانت المسرحية تقول : ان الضرورة غالباً ماتقتضي الموافقة باسم الانسانية على اعمال قد يميل بعض الناس الى اعتبارها لاانسانية .

وقد تولى لورد تشاندوس Chandos رئيس لجنة المسرح القومي الرد على تاينان الذي تولى توجيه المعركة باسمه وباسم اوليفيه وربط استقالته باستقالة الممثل المشهور والمدير الفني الذي كانت تصريحاته محدودة .

وقد إكد تاينان إنه يفهم موقف تشاندوس ويعتبر ان عنده مسوغات كافية لمقاومة المسرحية ، ولكنه استغرب موقف اعضاء اللجنة الآخرين ، ومنهم هنري مور . اذ أن تشاندوس قريب جداً من تشرشل وكان أحد أعضاء وزارته ، وشارك في الحادث الذي يشير اليه الهرهوتشهوث ، وحجته ان اخراج المسرحية على المسرح القومي بالذات يعني الاعتراف بها اعترافاً كاملاً ، والحقائق التي استند اليها إتهام الهر هوتشهوث تتضمنها وثيقة مودعة في مصرف سويسري ولا يجوز فتحها قبل ٥٠ سنة، وهذا الوضع يعطي تشاندوس فرصة لاثارة المسألة على اساس اخلاقي لا سياسي .

وفي رأي تاينان ان للرواية موضوعين اساسيين :

الأول : مسألة الغارات الجوية التي شنتها بريطانيا عمداً على مناطق ملأى بالمدنيين مثل الاغارة على درسدن .

الثاني : اغتيال سيكورسكي .

فهي إذن رواية عن مقتل شخص واحد في اطار القتل الجماعي ضمن نطاق هدف موحد هو القضاء على هتلر .

والسؤال المطروح في المسرحية هو : هل يمكن تبرير عمل البريطانيين ؟ وهل يمكن ايجاد مبرر لمثل هذه الأعمال في عالمنا الحالي ؟

والغريب ان الحلول التي يقدمها هوتشهوث غير معروفة لأن الرواية لم تنشر ، ويصر هوتشهوث على الاحتفاظ بها سراً ؛ وقد قدم للجنة حتى الآن ثلثي الرواية فقط .

ولكن ماذا يقول التاريخ في مقتل سيكورسكي ؟

ان المؤرخ البريطاني ايرفينغ Irving يعترف انه على صلة مباشرة بهوتشهوث وقد تعاون معه من اجل البحث في حقيقة مقتل سيكورسكي وانتهيا الى ان مقتل الجنرال البولوني لم يكن مصادفة . فقد اقلعت به الطائرة من جبل طارق وهو في طريقه من القاهرة الى لندن وسقطت بعد لحظات من اقلاعها ؛ وقد عرف آنذاك ان الروس لهم ضلع في الحادث . ولدى ايرفينغ ٦٠٠ صفحة حول المشكلة سوف ينشرها في الخريف ، وهو يعتقد ان هناك اطرافاً اشتركت في مقتل الجنرال ، وان البريطانيين كانوا متفرجين فقط .

على اي حال هناك معلومات مفصلة عن ملابسات الموضوع الا انها مأخوذة من السجلات الرسمية ، وقد نشرت (الصنداي تايمز Sunday Times , April 30 , 1967) كلمة من الطيار الذي كان يقود طائرة سيكورسكي ، وهو النقيب التشيكي ادوارد برشال Prchal . وخلاصة هذه الكلمة ان طائرة سيكورسكي حطت في جبل طارق في طريقها من القاهرة الى لندن وقد اجل سيكورسكي الرحلة فجأة لمدة ٢٤ ساعة وكانت الطائرة تقل حوالي ١٧ شخصاً ، وفي ٣ تموز ١٩٤٢ اقلعت الطائرة من جبل طارق وكان الظلام دامساً وبعد لحظات من التحليق اكتشف الطيار خللاً في جهاز الارتفاع ولم يستطع تدارك الامر فسقط في في البحر ، وكان الوحيد الذي نجا من بين ركاب الطائرة . وقد ادعى الطيار أن الطائرة نفسها فيها خلل في التصميم واستشهد بحادثة سقوط مماثلة لهذا النوع من طراز (ليبراتور) وهو امريكي الصنع .

وفي نهاية الحرب عاد الطيار الى تشيكوسلوفاكيا ولكنه سرعان ما هرب الى انكلترا ثم التجأ نهائياً الى امريكا سنة ١٩٤٩ ، وهو يعلل هربه بأن حياته كانت في خطر بعد ان سمع ان الروس حاكموا رجلا بولونياً اعترف بأنه مسؤول عن تخريب الطائرة المذكورة لصالح الاستخبارات البريطانية .

وقد احدثت كلمة الطيار ردود فعل فورية لدى كثير من الأطراف المعنية بالموضوع ، فأسرعت الشركة الأمريكية الى اصدار بيان تنفي فيه وجود أي خطأ في تصميم الطائرة .

كما كتب الضابط المسؤول عن المطار في جبل طارق آنذاك ، وهو بريطاني ، رسالة

ألى الصحيفة نفسها تفيد بأن الخطأ من الطيار وتلقي المسؤولية على عاتقه. اذ لم يكن من المستحيل تفادي الخطأ والطائرة على ذلك الارتفاع البسيط.

وذكر الضابط البريطاني ان الحكومة البريطانية حققت في الموضوع بوجود ضباط بولونيين وتشيكيين وانتهت الى أن الحادثة وقعت مصادفة. والطريف أن حامية المطار حينذاك أطلقت على التحقيق اسم تحقيق (تشرشل) لأنه كان (مهماً جداً) بمعرفة الحقيقة، بينما تقول مصادر كثيرة أن تشرشل عمل على قتل سيكورسكي بناء على طلب شخصي من ستالين.

وقد تكلم (هوتشوث) أيضاً فنشر مقالاً في المجلة الألمانية الفكرية Neue Rudschau شرح فيه فكرة المسرحية واحتج بأنه يعتبر تشرشل قائداً قادراً على الخير وعلى الشر في سبيل الخير، وأن رجلاً مثل (إتلي) ما كان ليستطيع أن يعمل ما عمله تشرشل، الا أنه - كما سبق أن ذكرنا - لم يوضح الحكم الاخلاقي للرواية على هذه (القدرة) التي امتاز بها تشرشل.

ولسنا هنا في معرض التاريخ المشكلة، فان متابعتها تحتاج الى (تفرغ)، شأنها شأن كثير من المشكلات التي تطرح نفسها بين وقت وآخر في المجتمع الغربي بقيمه المهتزة و (مسلسل) فضائحه الذي لا ينتهي، وإذ كان (تاينان) ما زال يهدد بالاستقالة باسمه وباسم (اوليفييه) فنحن لا نتوقع أن تبلغ الأمور بمسؤول في مثل هذا المجتمع حد الاستقالة، ولا شك أن (العقلاء) سيجدون حلا للمشكلة كأن تمثل المسرحية على مسرح آخر غير المسرح القومي، والجدير بالذكر ان آخر مسرحية رفضتها لجنة المسرح القومي كانت مسرحية المانية ايضاً (١٩٦٥) Wedekind : Spring Awakenmy وقد رفضت على أساس انها جنسية جداً ولكنها مثلت فيما بعد على مسرح الدويتش Aldwych ولم تثر ضجة بين الجمهور. ولم ينس (تاينان) التذكير بهذه الحادثة على صفحات (التايمز) ملخصاً مشكلة المسرح القومي البريطاني بهذه العبارة :

« ان اللجنة سبق أن رفضت روايات عن السياسة وعن الجنس وعن الأخلاق، فماذا يبقى للمسرح ؟ ».

مسلسل آخر في امريكا :

وهذا دليل جديد على أن السياسة تدخل في جميع مؤسسات (العالم الحر) الفكرية والنفسية رغم أن حرية الفكر والفن هي العلامة الفارقة التي يحرص العالم الرأسمالي على تزيين جبهته بها في كل مناسبة. لقد حجبت جائزة بوليتزر Pulitzer في مجال الخبر الصحفي لعام ١٩٦٦ عن مرشحها هاريسون ساليزبوري Harrison Salizbory بحجة أنه لم يتوخ الدقة في أخباره عن حرب الفيتنام. وكان

سالزبوري قد زار فيتنام الشمالية واستند في تقدير ضحايا الغارات الجوية على مصادر حكومة فيتنام الشمالية ، وقد رأت اللجنة العليا أن هذا المصدر وحده غير كاف وحجبت عنه الجائزة ملغية قرار اللجنة الفرعية التي اختارته بنسبة ٤ — ١ .

وفي رأي اكثر المراقبين أن موقف سالزبوري من حرب فيتنام هو الذي حجب عنه الجائزة وأن الحجة الرسمية للجنة المحلفين ليست الا تغطية ، ويبدو ان اللجنة نفسها لم تكن مقتنعة بحجتها فقد تم إبطال القرار بموافقة ستة إعضاء ومخالفة خمسة واستنكاف اثنين عن التصويت !

وقد تصدى لقرارات اللجنة احد المحلفين المكلفين بتقدير المواد المقدمة لجائزة بوليتزر في حقل الخبر الصحفي واستغرب أن تعطى الجائزة للصحفيين ستانلي بن S. Penn وموتري كارمن Karmin مع أن انتاجهما لم يعرض على اللجنة الفرعية المختصة .

والغريب أن الصحفيين الفائزين يعملان في صحيفة وول ستريت The Wall Street Journal . وقد أكد السيد بول سان Sann المدير المسؤول لمجلة نيويورك بوست أن إجماع المحلفين وقع اصلاً على انتاج درو بيرسون وجاك أندرسون ، وتضاربت الاقوال في تفسير ما جرى في أروقة لجنة المحلفين ، ولعله من المفيد أن نذكر هنا بأن جائزة نوبل الادبية كانت في العام الماضي من نصيب كاتب يهودي يصعب أن يعد في الطبقة الاولى أو الثانية ، ولعل اكبر دليل على المغزى السياسي لمنحه الجائزة هو أنه اعلن تبرعه بقيمة الجائزة لإقامة مشروع تنمية لصالح اللاجئين الفلسطينيين في الأردن ، وقد اشادت بذلك صحف غربية كثيرة (كانون الاول ١٩٦٦) .

بيتر ورسلي والمكتبات :

في موسم محاضرات الربيع نالت محاضرة بيتر ورسلي Peter Worsley (١) اهتماماً كبيراً من جمهور لندن لأن موضوع المحاضرة (المكتبات وثقافة الجماهير) يتناول مشكلة حساسة في العالم المعاصر ذات أهمية عملية متزايدة ، كما أن المحاضر يمتاز بثقافة فلسفية واجتماعية وسياسية شاملة وغير مقتصرة على طابع واحد .

وفي المحاضرة يعالج بيتر ورسلي وجهاً آخر من وجوه المشكلة التي طرحناها في العدد ٦٣ (أيار ١٩٦٧) من (المعرفة) وهي مشكلة طوفان الكتب ومهمة المحرر الأدبي ، فيشير الى ان الدراسات حول مقتنيات المكتبات العامة أثبتت أن هذه المكتبات لاتحوي أحسن الكتب بل لايبدو ان هناك مقياساً واضحاً

(١) استاذ علم الاجتماع في جامعة مانشستر ، ومؤلف كتاب (العالم الثالث) التي ينتظر أن تصدر ترجمته العربية قريباً

لاختيار الكتب ، مع العلم أن الاختيار ضرورة محتمة مادامت السوق البريطانية وحدها تستقبل حوالي ٢٥ ألف كتاب في العام الواحد . ويذكر المحاضر بمقالة نشرت في ملحق التايمز الأدبي (٩ آذار Times Litrary Supplement) حول (الشعر والمكتبات العامة) تضمنت خلاصة لدراسة أجريت على أحسن خمسين مكتبة في انكلترا ودلت على ان دواوين الشعر الرديئة كانت مكوّمة في معظم المكتبات ، بينما لم يُوجد عدد من هذه المكتبات دواوين شعراء مثل : تدهيوغس Ted Hughes وفيليب لاركن Philip Larken وروبرت لويل Robert lowell وسلفيا بلاث أودن Sylvia Plath Auden مما يؤكد الحاجة الماسة إلى جهاز معين مدرب لتحديد حد أدنى تنتقى على أساسه الكتب .

ولكن مثل هذا الجهاز يحتاج الى اختصاص عميق وتفرغ كامل ، وفي رأي المحاضر أن طبيعة عمل (قيم المكتبة) تجعله في وضع سلبي اذ ان وظيفته (خدمة) الثقافة لا الإسهام فيها ، وما دامت (الخدمة) تتطلب كل هذا الاختصاص فالإنسان يفضل أن يختص (ليسهم) لا (ليخدم) .

وفي رأينا أن هذه الملاحظة تحمل من المعاني أكثر مما يخيل للإنسان من النظرة الاولى ودليلنا على ذلك هذه الاعلانات المستمرة في الصحف والمجلات عن الحاجة الى قيمين للمكاتب Librrrians ، انه اختصاص دقيق وصعب و (جاحد) ايضاً .

ماسبب هذا الاهتمام الجدي بالمكتبات العامة ؟

ان ورسلي يجيب على هذا السؤال بادئاً من ماركس ، لقد بدأ تفكير ماركس من ملاحظته أن العامل في المجتمعات الصناعية الحديثة أصبح لايملك وسائل الانتاج التي لابد له من استعمالها . وأتى ماكس ويبر Weber فعمم هذه الملاحظة وطبقها على قطاعات أخرى من الحياة . فالجندي في الجيوش الحديثة اصبح ، كذلك ، لايملك أدوات الحرب . ثم ان العالم اليوم — وهو مايعنينا هنا — اصبح لايملك وسائل الثقافة : المكتبة الشاملة او الأجهزة العلمية الأخرى . ومقارنة بسيطة بين طريقة أبناء القرن التاسع عشر في اقتناء المكتبات الخاصة واستحالة ذلك اليوم تدلنا على ان البداءة العملية للثقافة المعاصرة يجب ان تنطلق من المكتبة العامة ، مكتبه المدينة أو الجامعة .

ان بيتر ورسلي يتعرض في وقت واحد للمشكلات العملية والنظرية للمكتبة ، وفي بلادنا التي تعاني من نقص أساسي في المكتبات العامة يبدو كلامه من نوع الكلام عن غزو الفضاء . ومع ذلك قد يكون مفيداً أن نذكر بمفهومه للمكتبة الحديثة ، فهو يؤيد الاتجاه الأمريكي في جعل المكتبة مركزاً مغرياً متحضراً مجهزاً بعيداً عن مظاهر صوفية العلم ، وهو لايستغرب الاحصاءات التي دلت على أن ٢٣٪ من رواد مكتبة

امريكية عامة (لوس أنجيلوس) يقصدونها لسبب غير القراءة من مثل الالتقاء بأصدقاء لهم أو استعمال الهاتف أو غير ذلك .

ان المكتبة الحديثة - في رأي ورسلي - يجب أن تكون جزءاً لايتجزأ من النسيج الاجتماعي والثقافي للحياة المعاصرة .

الادب الامريكي في منظور الادب المقارن :

ومن المحاضرات التي تداعى اليها عدد كبير من أساتذة الآداب في جامعة كامبردج محاضرة البروفسور ليفن Levin أستاذ الأدب المقارن في جامعة هارفارد ، لا لشهرة المحاضر فحسب، بل لأهمية الموضوع ودقتـه : English, American and Comparative Literature.

فبالرغم من المحاولات التي جرت خلال ربع القرن الماضي لتحديد الصلة المقارنة بين الأدبين الانكليزي والامريكي يشعر المهتم بالدراسات الأدبية الأنكلو أمريكية أن صلة النسب غير واضحة بين الأدبين وتبعاً لذلك يعاني الدارس كثيراً من اضطراب نسب المنهج وتداخل التيارات ولاسيا الحديث منها.

وقد كان رأي ليفن صريحاً في هذا المجال وواضح الحدود . إن الأمريكيين لا يحبون أن يدرسوا تشوسر ودرايــدن كما يدرسها الانكليز ، وليس الأدب الأمريكي سليل الأدب الانكليزي ، وإن تاريخ الأدب الأمريكي شيء مختلف تماماً عن تاريخ الأدب الانكليزي ، ولكن الأدب الانكليزي مفيد جداً في دراسة الأدب الأمريكي باعتباره خلفية لا اكثر ، كما ان الأدب الانكليزي مفيد في دراسة الأدب الفرنسي وهكذا ... على أن تفهم هذه الحقيقة دائماً في إطار التأكيد على الصلات القوية التي ربطت دائمـــاً بين الأدب الأمريكي والآداب الأوروبيـــة ، ويمكن للمرء - كما يقول ليفن - ان يتصور حالة الدراسات الأدبية في أمريكا لو لم يهاجر اليها من إنكلترا والقـــارة الأوروبية أدباء مشهورون جداً ولا سيما إبتداء من ثلاثينات هذا القرن (١)

ووفقاً للمقياس السابق قال ليفن لأساتذة الأدب الانكليزي إنهم يجب أن لا يتوقعوا من الأدب المقارن في أمريكا أن يدرس آثار شكسبير وميلتون وفيلدنغ باعتبارها غاية في ذاتها كما يفعلون في الجامعات البريطانية ؛ فالأدب المقارن في امريكا يدرس دلالات هذه الآثار من فكرية وادبية كما يدرس خواص اساليبها ويتتبع تأثيراتها في القارة الأوروبية بالقدر الذي يساعد على فهم التطور التاريخي للأدب الأمريكي .

ومن النقاط التي أثارهـــا ليفن مشكلة الأدب والتعليم ؛ وقد وقف طويلاً عند هذه المشكلة التي استهل بها محاضرته المفعمة بروح

(١) وفقاً (للمودة) المألوفة اليوم في أوروبا ، وهي أن يبني المرء شهرتـــه في اوروبا ويقطف ثمراتها في أمريكا .

المرح والغنية جداً بالاستشهادات والأخبار الأدبية من إنكليزية وامريكية واوروبية . لقد أصر ليفن على ان هـــذا السؤال مازال وارداً حتى اليوم ودليله على ذلك أننا يندر أن نجد أديباً كبيراً تخرج من جامعة أو نبغ بفضل دراسته الأدبية أو كانت له صلة مباشرة بتدريس الأدب ، وقد ذكر سلسلة من اسماء الأدباء والشعراء الانكليز والأمريكيين الذين أخفقوا في الحصول على درجات جامعيـــة وذكر التنبؤات المتشائمة التي أطلقتها على هؤلاء أساتذتهم في مختلف المراحل وقد ذكر منهم ييتس وإيليوت وباوند وغيرهم ...

وفي هذا الصدد أشار (ليفن) الى أننا يجب أن لانقف موقف المستهزىء من إصرار الجامعات القديمة على عدم تخصيص كرسي للأدب مستقـــل عن الدراسات اللغوية فان هذه الظاهرة لها دلالتها القوية جداً ، وقــد ذكر ان الجامعات الأمريكيـــة ظلت حتى زمن قريب تعتبر دراسة الأدب فاصـــلاً ترفيهياً في دراسة اللغة أو التاريخ ، وقد انطلقت دراسة الأدب في الجامعات الأمريكية من نيو إنكلند في نطاق محدود جداً ثم كان لها ان تتوسع ببطء شرقاً وغرباً ، وقد أورد المحاضر اقوالاً طريفة لعدد من رؤساء اقسام اللغات في الجامعات الاوروبية والامريكية المشهورة تدل على عدم إيمـــانهم بجدوى او بخطورة الدراسات الأدبية ، ولعل الطرف هذه الآراء ما ورد على لسان رئيس سابق لقسم اللغات في جامعة اوكسفورد : يجب أن (تصلّب) دراسة الأدب المـــائعة بدعمها باللغويات . او كما قال استاذ آخر : لنجعل دراسة اللغة هي المرارة التي ترافق حبة الدواء الادبي وتحول دون الاسراف في تعاطيه .

كذلك أشار المحـــاضر الى مشكلة دراسة الأدب الحديث التي مازالت تعاني من تعصب الاكاديميين الذين لاينظرون بعين الرضى الى موجات (المودة) التي تكتسح دنيا الأدب في كل بضعة من الأعوام،وذكر في جملةماذكر من الامثلة ان احدى الجامعات الامريكيـة رفضت تسجيل رسالة دكتوراه لمن رسكن (١٨١٩ — ١٩٠٠) وذلك منذ مدة غير بعيدة بحجة انه حديث جداً ، وبعدمداولات ومشاورات وافق رئيس قسم اللغة الانكليزية على تسجيل الرسالة بشرط ان يأتي مستوى الدراسة أعلى من السوية المعتادة بشكل واضح .

وقد اشار المحاضر ايضاً الى مشكلة دراسة الأدب الامريكي في اوروبا وأعطى صورة مضحكة عن هذه الدراسة في بعض الجامعات كما تعرض لاحدى المشكلات الكبرى المشتركة بين جامعات امريكا واوروبا وهي اضطراب الاساتذة البارزين بين قاعات الجامعة (الخاسرة مادياً ومعنوياً) وعالم النشر (الرابح مادياً ومعنوياً) على ما في الاولى من اناة وتدقيق وما في الثاني من عجلة واضطرار لمجاراة عوامل كثيرة نابعة عن ضرورات البحث .

أما قرننا فقد خصها الحاضر بنصيب كبير من حديثه لأنها في منظور الأدب الحديث المقارن مازالت منذ منتصف القرن الماضي أخصب منطقة للتفاعل بين الآداب المختلفة ومنبعاً ثرّاً للمذاهب الأدبية (isms –) التي تسري في عالم الأدب سريان النار في الهشيم .

وفي نهاية المحاضرة اكد البروفيسور ليفن أن الأدب المقارن يطرح اكثر من غيره قضية الاتساع او التضييق في نطاق الاختصاص . فقد يكون صحيحاً أن اتساع الاختصاص يعرض الباحث السطحية ، ولكن متى كان ضيق نطاق الاختصاص ضمانـــة للعمق ؟ إن الأدب المقـــارن ، بما يتطلبه من شمول في الدراسة ، يمكن ان يكون رداً على الدعوة الى الامعان في تحديد الاختصاص وتضييقه ، وان مداه المتسع هو الذي يوفر له نصيباً أقوى من العمق والصحة .

(رامبرت) وثورة الباليه :

حتى الباليـه ، الفن التقليدي المتحصن وراء الابراج العاجية ، ادركته الثورة . ليس من السهل ان يظل التعبير في اي فن من الفنون كحفيف الورق او هبـوب النسيم ، ان الحركة والعنف والصخب والتنوع اصبحت اموراً ضرورية في الفنون التعبيرية غير الثابتة .

لقد اعلنت باليه رامبرت RAMBERT منذ ان انشئت في ايلول الماضي انها ستكرس كل جهودها للباليـــه التجريبية . ومن بين الاستعراضات المختلفة التي قدمتها هذه الفرقة على مسرح الآرتس Arts Theatre في كامبردج لايفوت المشاهد ان يلاحظ ان باليه (قاعدة الزمن Time Base) هي شيء جديد في الباليه فعلاً ، وبعيداً من التقييم الفني الخالص كرصد الحركات والالوان والاطار العام – وهي امور قد تكون عرضة لسهام النقد من المختصين – يستطيع المشاهد ان يقول انه عاش الفكرة عقلاً وشعوراً وفناً خلال اكثر من نصف ساعة من الزمن . ان مؤلف الباليه هو جون شدورث John Chesworth ، ومن اعضاء فرقة رامبرت ، وقد اخذ اسمه يتردد في انكلترا منذ تشرين الثاني الماضي فقط حين بدأ بعرض تجاربه الجديدة .

ماذا تقول (قاعدة الزمن) ؟

إنها صور أربع تحاول ان تمثل الزمن المجرد .

الصورتان الاولى والثانية تمثـــلان الزمن الذي انقضى والزمن الآتي ، الماضي والمستقبل . والاولى تذكرنا بمصر القديمة ولاسيما من حيث ملابس الراقصين أما الثانية فمغرقة في الخيال – كما هو شأن المستقبل – ويقدمها رجلان غير قادرين على الرؤية يضربان في اعماق الفضاء بآلات عجيبة .

ويشعر المشاهد ان كلا الصورتين تحتملان مزيداً من الاتقان . اما الصورة الثالثة فهي مشهـــد منفرد يقدمـــه جوناثان تايلر Jonathan Taylor وترافقه شريط مسجل

يتضمن تعريف معجم أكسفورد للزمن . وتصاحب الكلمات الموقعة موسيقى تنقيطية، انغام موسيقية تتابع دون انتظام كالنقط ، ولعلها تهدف الى عجز الانسان عن تصور الزمن المطلق ، كما يهدف الراقص الى تصوير الانفعالات التي تثيرها في النفس كلمة (زمن) .

وفي الصورة الرابعة نرى كيف أن الموت يعني تدمير الشيء الرئيسي الذي يهم الانسان وهو زمن حياته .

ومن بين المشاهد الاخرى التي تستحق الذكر باليه (بيرو لونير) Pierrot Lunaire من تأليف الامريكي غلين تتلي Glen Tetley وترافق الراقصين الثلاثة (رجلان وامرأة) موسيقى مأخوذة من شوينبرغ Schoenberg وأشعار لجيرو Giraud مترجمة للالمانية يبدو فيها الصوت الانساني (غير المفهوم بالنسبة لمعظم المشاهدين الانكليز) تلوينا اضافيا للموسيقى لا أكثر . والمسرح هنا عار تماما سوى من مربعات مصنوعة من القضبان تشبه (السقالة) التي يستخدمها البناؤون، وتدور خلال ثلاثين دقيقة معارك بين (الحالم) او (الشاعر) او (البريء) — وهو مايوحيه بياض ملابسه ووداعته — وبين (القوي) المرتدي حلته العسكرية الرسمية ، والفتاة سلبية هنا تتأرجح بين الفريقين ، وفي خلال الجولات تنتصر القوة ويجده الشاعر حتى من ملابسه ويضع (القوي) أذنه على قلب الشاعر فيتأكد أنه مات فيدحرجه الى طرف المسرح ويصعد الى اعلى القضبان محتفلا بانتصاره ، وما هي الا لحظات حتى يتململ (الشاعر) من رقدته ويقوم ببعض حركات اليقظة ثم يصعد الى الأعلى ليشاهد دهشة القوي المنتصر وحيرته بعد النصر . ان الخاسر — كما قال سارتر — يأخذ كل شيء ولقد لف الخاسر هنا ذراعيه حول كتفي الرجل والمرأة المنتصرين وذل رأسه الى صدره كأنه يباركها بل يأخذ كل شيء منها !

مرة أخرى بعيداً عن كل تقييم فني (لاأحسنه طبعاً) أحسست أن الثورة في الباليه نجحت على الأقل في تخليص هذا الفن من رتابته ، ولا سيما بالنسبة للذين لم يتزودوا بالثقافة الفنية اللازمة ولا بد أن يشعروا بشيء من الملل إزاء ثلاث ساعات متواصلة من مشاهد باليه كلاسيكية .

وقد حاول أحد المشاهد ايضاً أن يمثل يأس الانسان المعاصر ومله من رتابة الحياة وتضاؤل قواه الجسدية بطريقة تعبيرية صارخة ، فهناك (الجنتلمان) في المشرب وأمامه ثلاث راقصات باليه بثياب مهترئة مشوهة ، إنه يشرب ويشرب ولكنه خائر القوى يحتاج الى النادل لكي يساعده على رفع يده للاشارة الى الراقصات ، والراقصات يؤدين الرقص ببلادة متناهية ، ان الراقصة قد تحتاج الى تحريك ساقها بيدها ، ولعلها مشاهد تعبيرية مألوفة ؛ اما الجديد فيها فهو

التجريد الكامل ، انهم اشخاص في الفراغ خائرون يريدون ويعجزون .

واذا كان لنا من ملاحظة أخيرة فهي أن الفرقة حاولت في المشهد الختامي استغلال ما يمكن ان يسمى بانتصار تجربتها ، فقدمت (عرضاً) ضاحكاً أو مهرجانا صاخباً لجميع أنواع الرقص المعاصر اختلطت فيه الأشيـاء والحركات والألوان والأصوات بشكل يمثل فوضى الفن الحديث ، الا أنه المخرج عجز عن استغلال الفن الهائل الذي يقدمه مثل هذا المشهد الذي بدا في النهاية خاتمة شبه تهريجية لتجربة ناجحة تقريباً .



أدب الدول المتتابعة

عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك

تأليف : عمر موسى باشا
نشر : دار اليقظة العربية ١٩٦٧

تحليل وتقديم : عدنان بن ذريل

كانت الفترة الزمنية التي عرفت في التاريخ العربي الإسلامي بفترة الحروب الصليبية ، وخاصة في القرنين السادس والسابع الهجريين في سورية ومصر ، فترة جهاد ونضال واستبسال ، فترة تضحية ووحدة .. وقد كتب الله تعالى فيهـا للعرب المسلمين المناضلين والمستبسلين في الذود عن الديار والذمار النصر المؤزر والفوز المبين والغلبة على الأعداء الغزاة لجلائهم عن البلاد التي احتلوها أو هددوها في سورية ومصر ..

وقد تعاقبت على بلاد الشام ومصر في هذه الفترة النضالية الفذة دول ثلاث كبرى هي : الدولة الزنكية فالدولة الأيوبية فالدولة المملوكية . وظلت بغداد حاضرة الخلافة العباسية آنئذ توازن هذه

الدول المؤازرة الفعلية القوية حتى ساعة وقوعها في يد التتار وتصدي الشام ومصر للتتار.

وإذا كانت الأحداث التاريخية في ذلك كله شيقة في حد ذاتها، على دقتها وعلى تشعب البحث فيها في هذا القطر أو ذاك، إلا أن الشيء الأكثر تشويقاً فيها هو: أدب هذه الفترة القلقة والعصيبة من تاريخنا العربي الإسلامي.. وهو ماتكفل هذا الكتاب العلمي الجديد والقيم: — أدب الدول المتتابعة — للدكتور (عمر موسى باشا) بجلائه وعرضه وتوضيحه وشرحه وتفسيره وتحليله.

وقد قسم المؤلف دراسته فيه الى أبواب ثلاثة، تحت كل باب منها عدة فصول. تجد في الباب الأول منها عرضاً جامعاً ووافياً ودقيقاً عن التطورات السياسية آنئذ، والتوحد والوحدة، ثم عن المظاهر الاجتماعية والتيارات الفكرية والعقلية.. إنه باب دقيق منظف يعطي القارىء فكرة صادقة عن تطور الأحداث السياسية آنئذ أو عن الحياة الاجتماعية والثقافية والأدبية..

أما الباب الثاني فمخصص للشعر في عصور الدول المتعاقبة. وهو أطول أبواب الكتاب وأكثفها مادة وأغزرها شروحاً وأوفرها تحليلات. وتربو صفحاته على خمسمائة وعشرين صفحة من القطع الكبير محققة ايضاً كلها تحقيقاً علمياً..

فقد عمد المؤلف فيه أولاً الى التأريخ لأعلام الشعر في عصور الدول المتعاقبة في القرن السادس: ابن القيسراني وابن منير الطرابلسي وابن قسيم الحموي وعرقلة الدمشقي وأسامة بن منقذ، ثم في القرن السابع: ابن الساعاتي والشهاب الشاغوري وابن عنين والشرف الانصاري والشاب الظريف والتلعفري..

فأورد سيرة حياتهم وسيرة أدبهم وخصائصهم الأدبية وأساليبهم. ويعتبر هذا جهداً علمياً أدبياً أميناً للتعريف بالشعراء أنفسهم والكشف عن فنيتهم وأسلوبهم..

ثم أردف ذلك بدراسة الأغراض والفنون في تلك العصور من مذاهب شعرية متطورة وأغراض المديح والملاحم والمطارحات وغيرها ، وفنون الموشحات والأزجال والرباعيات والمواليات وغيرها أيضاً . .

وفي الحقيقة ، هذا الجزء من الباب جد قيم في الكتاب ودقيق ويستحق التقدير والثناء ، لأنه بالفعل يوقف القارىء بواسطة الشواهد المحققة والأدلة العلمية والأدبية على حقيقة الحياة الأدبية آنئذ وحقيقة الأدب وتطوره وعلى الخصوص تأثره بالأحداث أو بالفن القولي . .

ولذلك رأيناه يولي اهتمامه ناحية الصنعة في الأدب آنئذ فيتحدث محللاً وشارحاً ما يسميه التصنع البلاغي في الصور البيانية والزخارف البديعية وهيكل القصيدة وتراكيبها وألفاظها وأوزانها وقوافيها . .

والباب الثالث والأخير خصص للنثر في عصور الدول المتعاقبة وحيث يتحدث المؤلف أيضاً من جهة عن أعلام النثر في تلك الفترة في القرن السادس : الخطيب الحصكفي والعماد الكاتب ، وفي القرن السابع : ابن الأثير الكاتب والشهاب محمود . .

ثم يتحدث عن الفنون النثرية ، من فن خطابي ديني وحربي ، ونثرد يواني ونثر وصفي ونثر ذاتي ووجداني . . حيث تظهر الدقة كما يظهر حس الإنصاف وإبراز التطور الأدبي الجديد في جدته والمبتكر في ابتكاره . وهنا لا ينسى المؤلف أيضاً جانب الصنعة والبلاغة فيتحدث عن مذاهب النثر وعما يسميه التصنع البلاغي في الصور البيانية والزخارف البديعية وبنية النثر الفني وغيرها . .

الملاحظ إذن أن المنهج التاريخي من جهة ، ثم التحليل البلاغي والأسلوبي ، هما الوسيلتان العلميتان الأدبيتان الى الحقائق والتفسيرات في أدب هذه الفترة في هذا الكتاب العلمي القيم . .

وبالفعل ان تتبع الأعلام في القرن السادس ثم القرن السابع الهجريين خاصة

في بلاد الشام، مثل تتبع الخصائص البلاغية والأسلوبية وما يسميه المؤلف التصنيع البلاغي، هما الشغل الشاغل للمؤلف واللذين ظلا يهيمنان على هذه الصفحات العلمية الأدبية في الكتاب..

وفي تقديرنا، لا اعتراض على هذين المنهجين واللذين يمكنهما أن يتساندا ويتعاونا في البحث الواحد.. وقد تساندا بالفعل بنجاح كبير في هذا الكتاب القيم. وساعد على نجاحها أن الفترة المقصودة بالتمحيص والبحث والتحليل والتقييم وهي فترة جهاد مشترك وتوحد في الآمال والأهداف تساعد على اعتمادهما وتطبيقها على أدب تلك العصور..

ومن تجليات هذه الصفحات العلمية الأدبية، إظهار الصراع الديني والسياسي في الحروب الصليبية وابراز الاستثارة والتحريض وازجاء التباشير والتهاني بالفتوح او التأريخ للأحداث والملاحم.

مدح (ابن منير طرابلسي) (٤٧٣ - ٥٤٨) والمتوفى في حلب، نور الدين زنكي بعد مقتل (البرنس) صاحب انطاكية عام ٥٤٤ هـ. قال:

أقوى الضلال وأقفرت عرصاته
وعلا الهدى وتبلجت قسماته
وانتاش دين محمد محموده
من بعد ما غلبت ذماً عبراته
ردت على الاسلام عصر شبابه
وثباته من دونه وثباته

وأنشد (ابن القيسراني) (٤٧٨ - ٥٤٨) والمتوفى في دمشق في نفس المعركة يهنيء نور الدين ويحرض على بيت المقدس:

أغرت سيوفك بالإفرنج راجفة
فؤاد رومية الكبرى لها يجب
فانهض الى المسجد الاقصى بذي لجب
يوليك أقصى المنى فالقدس مرتقب
وائذن لموجك في تطهير ساحله
فانما أنت بحر لجه لجب

ولما أسر (جوسلين) وكان كثير الغدر والمكر اكثر الشعراء في وصف الحادثة؛ ومما قاله (ابن القيسراني) ايضاً مادحاً ومحرضاً:

فسر واملأ الدنيا ضياء وبهجة
فبالأفق الداجي الى ذا السنا فقر
كأني بهذا العزم لافلّ حده
وأقصاه بالأقصى وقد قضي الأمر
وقد أصبح البيت المقدس طاهراً
وليس سوى جاري الدماء له طهر
وقد أدت البيض الحداد فروضها
فلا عهدة في عنق سيف ولا نذر

وعندما توحدت مصر والشام في عهد نور الدين، بعث (العماد الكاتب) (٥١٩ — ٥٩٧) والمتوفى في دمشق، بقصيدة يهنئه محرضاً ايضاً على غزو الفرنج :

لله درك نور الدين من ملك
عدل لحفظ أمور الدين ملتزم
اغز الفرنج فهذا وقت غزوهم
واحطم جموعهم بالذابل الحطم
وطهر القدس من رجس العداة وثب
على البغاة وثوب الأجدل القطم
تملك مصر وملك الشام قد نظما
في عقد عز من الاسلام منتظم .

ومما قاله (العماد الكاتب) في ملحمة (حطين) الخالدة :

يا يوم حطين ، والأبطال عابسة
وبالعجاجة وجه الشمس قد عبسا
رأيت فيها عظيم الكفر محتقراً
معفراً خده ، والأنف قد تعسا
أفناهم قتلهم والأسر فانتكسوا
وبيت كفرهم من خبثهم كنسا

ويقول (العماد الكاتب) في قصيدة أخرى فيها مخاطباً صلاح الدين :

سحبت على الأردن ردناً من القنا
ردينية ملداً وخطية ملسا
حططت على حطين قدر ملوكهم
ولم يبق من اجناس كفرهم جنسا
كسرتهمو اذ صح عزمك فيهم
ونكستهم اذ صار سهمهم نكسا
بواقعة رجت بها الأرض جيشهم
دماراً كما بست جبالهم بسا

وإثر موقعة (حطين) تحررت (القدس) بعد ان بقيت نيفاً وتسعين

عاماً بيد الفرنجة ، وكان ذلك على يد صلاح الدين أيضاً ، عام ٥٨٣ هـ . وقد اكثر الشعراء من نظم القصائد القدسية التي تخلد ذلك التحرير ؛ وقد كرس (أبو الفضل الجلياني) جل شعره للتغني بفتح بيت المقدس ؛ وتوفي الجلياني أيضاً ، في دمشق عام ٦٠٣ هـ . ومن قدسيات (أبي الفضل الجلياني) ، (الفتحية الناصرية) ، وفيها يقول :

في باطن الغيب مالاتدرك الفكر
فذو البصيرة في الاحداث يعتبر
مالي أرى ملك الافرنج في قفص
أين القواضب والعسالة السمر
حطوا بحطين ملكاً كافياً عجباً
في ساعة زال ذاك الملك والقدر
أهوى اليهم صلاح الدين مفترساً
وهو الغضنفر أعدى ظفره الظفر

وعندما خرج ملك الألمان لنصرة فلول الفرنجة المحتشين في بعض الثغور النائية على الساحل ، بعد فتح بيت المقدس ، انبرى الشعراء من جديد يشحذون الهمم ، ويحرضون صلاح الدين على استئصال شأفتهم نهائياً من بلاد الشام. يقول الجلياني في ذلك :

يامنقذ القدس من أيدي جبابرة
قد اقسموا بذراع الوب تدخله
أما رأيت ابن أيوب استقل بما
يعيي الزمان وأهليه تحمله
هاج الفرنج وقد خاروا لفتكته
فاستنفروا كل موهوب تغلغله
وانما اسم صلاح الدين يذكر في
جيش العدو فيسبيهم تخيله . .

تلك جوانب تاريخية ، أدبية ، تتبعها مؤلف الكتاب في مظانها ، فحققها وعرضها ، وشرحها . . والتحقيق العلمي المنهجي للنصوص الأدبية والشعرية مطرد في صفحات الكتاب كلها ، الأمر الذي يضفي على التأليف صفة العلم الدقيق ، المفيد . .

ولابدّ لنا أخيراً من التنويه بما بذله المؤلف في تحقيق الجوانب البلاغية في أدب الاعلام في القرنين السادس والسابع الهجريين في الشام ؛ فقد تتبع صور البيان في الشواهد المختلفة من شعر هؤلاء الاعلام ونثرهم ، وحللها تحليلا بلاغياً ، وشرحها شرحاً تطورياً ، في جهد صادق يستحق الاكبار .

جولة الشهر

حول ندوة

الاشتراكيين العرب

بقلم أديب اللجمي

خلال العشر الاخير من شهر أيار (مايو) الماضي عقدت في عاصمة الجزائر ندوة الاشتراكيين العرب . كانت الظروف التي جرت خلالها مناقشات الندوة مشحونة بالتوتر ، والتهديد بالحرب ضد العرب . كانت اسرائيل تستعد للاعتداء على البلاد العربية عسكرياً ، وكانت جميع الدلائل تشير الى أن الأمبريالية الانغلو - أمريكية تدفع اسرائيل دفعاً في طريق المغامرة العدوانية . ووقعت المغامرة فعلاً في الخامس من حزيران (يونيو) الماضي . واذا كان المجال لايتسع هنا لبحث تفاصيل العدوان فمن الواضح أن أسبابه كانت في أكثرها من جملة الموضوعات التي عالجتها ندوة الجزائر : اسرائيل ، وتحرير فلسطين ، الاستعمار

الجديد ووسائل مكافحته ، التحرر العربي وأشكاله الحديثة ، الوحدة العربية ، الطموح العربي الى التقدم والاشتراكية ، لقاء القوى التقدمية في الوطن العربي وفي العالم ، نماذج من التجارب الاشتراكية في الوطن العربي . وربما كان كل واحد من هذه الموضوعات محتاجاً الى ندوة خاصة ، الا ان مجرد مناقشتها خلال أمد قصير ، وفي ظروف عربية لاهبة ، يمكن أن يعتبر تمهيداً لندوات أخرى تالية ، ستعقد في المستقبل .

* * *

كانت كلمة الافتتاح للرئيس الجزائري بومدين . وقد لخص فيها الأغراض العديدة من عقد هذه الندوة ، ومن التقاء المفكرين التقدميين العرب لمعالجة موضوعاتها . « ان المجتمع العربي اليوم ترتفع فيه شعارات ، وتقوم به تيارات تحاول كل منها أن تطرح مفاهيم مختلفة . فلماذا لا يلتقي المناضلون العرب في محاولة بناءة ، لتوضيح المفاهيم العامة وتحديد الأهداف القريبة والبعيدة التي يعملون لتحقيقها ؟ »

ثمة إذن تناقضات في داخل الوطن العربي ، فينبغي أن نعمل على ازالتها ، على معالجتها بشجاعة . والسبيل الى ذلك يبدأ بالحوار . « ان التناقضات التي يعيشها الوطن العربي تفرض علينا أن نواجهها بصراحة ، وأن نبحثها بعمق ، وأن نجد لها الحلول الواقعية الثورية بالفعل . » ولكن البلاد العربية تنتمي الى مجموعة بلدان العالم الثالث ، التي هي بدورها في صراع دائم مع الامبريالية العالمية . ان بلدان العالم الثالث تريد ان تشق لنفسها مفهوماً وطريقاً في النضال يختلفان عن المفاهيم التي سبقتها . « اذا كان التناقض الاساسي الذي طبع العالم في منتصف القرن العشرين هو عدائية الصراع بين الشرق والغرب ، فان بعض النتائج التي

اسفر عنها هذا الصراع أضعفت من حدته ، وجعلته يتحول الى منافسة سلمية . وفي غمرة ذلك الصراع ، حققت حركات التحرير في البلدان المستضعفة انتصارات هامة بفضل الحرب الباردة بين الشرق والغرب ... وهنا أدركت الامبريالية العالمية طبيعة الخطر الذي يتهددها من مواقع البلدان النامية ، وأصبح خوفها الأكبر هو أن يثبت هذا الخطر حقيقة جديدة أخرى ، **هي إمكان التطور حسب نموذج ثالث يختلف عن النموذجين المعروفين منذ نهاية الحرب العالمية الاولى** ، خصوصاً اذا نجح هذا النموذج في مجتمع ذي **تراث روحي** ، **مثل المجتمع العربي** . »

واذا كان على بلاد العالم الثالث أن توثق روابط النضال فيما بينها ، ضد الامبريالية ، وفي سبيل « الطموح الى السير على طريق الازدهار » فان على القوى العربية الاشتراكية أن تبدأ بتوحيد جهودها وطاقاتها ؛ ويرى الرئيس بومدين « أن تذويب الفوارق بين قوى الثورة الاشتراكية في الوطن العربي ضروري لتقويض القلاع التي يتحصن بها الاستعمار لنهب تراثنا وتشتيت صفوفنا ، وهو ضروري لرسم طريق الوحدة بوضوح وواقعية ، مثلما هو ضروري لتكوين المساهمة العربية في إطار العالم الثالث على مستوى امكانياتها الحضارية ... لقد آن الأوان لأن يجمع الثوريون والاشتراكيون العرب صفوفهم ... ولأن يتخلصوا من الطقوس والتعاليم الجامدة التي تفرزها الكنائس الفكرية المختلفة ، ولأن يفرقوا بين ما هو أساسي وما هو ثانوي . . »

وفي تقدير الندوة ، أن فلسطين تعبر بشكل صارخ عن صراع التحرر العربي مع الاستعمار الجديد والقديم . فاسرائيل لم تقم في قلب الوطن العربي إلا لأن الامبريالية الغربية تريد أن تستخدمها أداة تعويق للتحرر العربي ، ووسيلة تهديد لأمن العرب وسلامتهم .

وفي البحث الذي قدمه الدكتور حيدر عبد الشافي عن « واقع فلسطين وأسلوب تحريرها » ابراز للعلاقة بين الاستعمار والصهيونية من جهة ، وبين التحرر العربي والحركات الاشتراكية في العالم من جهة أخرى . وهو يرى أن قضية فلسطين «على الرغم من أنها لاتختلف عن سائر قضايا التحرر الوطني في العالم ، الا أنها تتميز بظروف خاصة عن تلك التي كانت سائدة في سنة ١٩٤٨» . فطبيعة حركة التحرير الفلسطينية تتجلى في :

- التغلب على مايعانيه شعب فلسطين من تمزق جغرافي وسياسي، والعمل على توحيده تحت قيادة القوى التقدمية .
- تأكيد شخصيته التحررية .
- تعبئته سياسياً وعسكرياً .
- توضيح أبعاد نضاله التحرري امام العالم كله ، لتنتصر له جميع القوى التقدمية والحرة في العالم .

واذ ان الهدف العربي في فلسطين يتجلى في : تصفية الصهيونية من الارض المحتلة ، واعادة ابناء فلسطين الى ارضهم ، فمن المحقق ان السبيل الوحيد الى تحقيق هذا الهدف هو **الكفاح المسلح** ، لأن « ارتباط الصهيونية بالاستعمار ارتباطاً مصيرياً، يجعل أي اسلوب آخر معها ، عديم الجدوى » .

ويرى خيري حماد ان « خلق الشعب المقاتل عن طريق الثورة الاشتراكية هو الطريق العلمي الوحيد لتحرير فلسطين من ناحية ، ولمزاجهة الخطر الصهيوني من ناحية ثانية » . والداعي الى تقرير هذه النتيجة هو ان الخطر الصهيوني « لايمثل ظاهرة محلية تستمد وجودها من منابع محلية يمكن التحكم فيها، وانما هو قدرة متطورة ومتقدمة باستمرار » . فاذا صح ذلك، فلا يكفي ان نتحدث عن الثورة الاشتراكية

وحدها ، سبيلا الى مواجهة الصهيونية وتحرير فلسطين ، بل من المحقق ان القومية العربية ذاتها ، والشعب العربي كله هما المقصودان من قبل الاستعمار والصهيونية العالمية .

وكأن خيري حماد قد لاحظ عدم جواز حصر الجهد التحرري لفلسطين بالقوى الاشتراكية العربية وحدها ، فقال ان « معركة فلسطين هي معركة الامة العربية كلها ، بل معركة الاحرار والشرفاء في كل مكان ، وان كل ابناء فلسطين وبناتها ، هم طليعة الفداء في معركة تحرير وطنهم ... ومن هنا فان على هذه الحركة ان تعتمد على طاقات الامة العربية كلها ، وعلى دعم قوى الخير والحرية والتقدم في العالم كله » .

بحوث كثيرة ، القيت عن فلسطين في ندوة الاشتراكيين العرب بالجزائر ؛ اكثرها من اعداد مفكرين فلسطينيين . وهي ، على غناها وتنوعها ، تشترك في بعض نقاط التشخيص ، كما تشترك في الافكار الاساسية لأساليب تحرير فلسطين.
ان العلاقة بين الصهيونية والاستعمار ، لم يعد فيها جانب غامض يحتاج الى توضيح.
ان تجربة الشعوب اليومية تثبت انه ليس من السهل على الاستعمار ان يرحل عن البلدان المستعمرة ، ويتخلى عن مصالحه فيها ، لمجرد مطالبة الشعب بذلك. فالاستعمار قد جاء عن طريق العنف ، وخروجه لا يمكن ان يكون الا عن طريق العنف (من بحث فاروق القدومي) . ولا بد أن يستهدف العنف المسلح ، تدمير المؤسسات العسكرية والسياسية والاقتصادية والمالية والفكرية لدولة الاحتلال الصهيوني . فهدف حرب التحرير الفلسطينية ليس فقط هو الهزيمة العسكرية ، بل القضاء على صبغة الصهيونية للأرض المحتلة ، بشرية كانت او اجتماعية .

اما موضوع الاستعمار الجديد ، فقد احتل المكان الثاني من اهتمام الندوة ومناقشاتها ، وكانت البحوث التي قدمت عنه موثقة وطريفة . ان ظاهرة الاستعمار الجديد تتجلى اكثر ما تتجلى في هذا الجهد الذي تبذله الدول الاستعمارية لافراغ الاستقلال السياسي الذي نالته دول العالم الثالث مؤخراً من محتواه التحرري . فبعض الدول في أفريقيا وآسيا نالت استقلالها السياسي في أعقاب نضال وطني طويل الأمد، ثم ما لبث أن أفرغ هـــذا الاستقلال من مضمونه وعادت الدولة المستقلة تسير في فلك الاستعمار من جديد ، او تخضع لنفوذه ومشيئته . ان الاستعمار الجديد يبرز بصورة خاصة في مجموع المحاولات التي تناهض الثورات التحررية وتعيق حركة التطور والتقدم التي تسعى الى ممارستها الدول المستقلة حديثاً ، من هنا كثر الحديث في السنوات الأخيرة عما يسمى بـ «الثورة المضادة» التي يقوم بها الاستعمار الجديد ، والتي تظهر في :

ــ وضع البلد المستقل تحت رحمة الاحتكارات الامبريالية والنفوذ الاقتصادي الاستعماري .

ــ التسرب الى البلد المستقل عن طريق القروض والمشاريع العمرانية الثانوية المبددة للمال .

ــ دعم العقلية المحافظة والرجعية في داخل البلد المستقل .

ــ الضغط الاقتصادي على البلد ، واستمرار الشركات الكبرى الرأسمالية في استغلال ثرواته وموارده الأولية .

وإذا كان لطفي الخولي يرى أن الفصل بين الاستعمار الجديد والاستعمار القديم اعتباطي تعسفي ، وأن كلا الاستعمارين متماسكان ، ويجب أن يدرسا بعناية خاصة ، فان محمد الميلي قد اكد على اساليب الاعتماد على النفس بالنسبة

للشعوب النامية كطريق سليم وضروري لإقامة اقتصاد مستقل ، ونظام تقدمي. وهذه الفكرة ذاتها نجدها أيضاً في كلمة الرئيس بومدين الافتتاحية ، إذ قال : «اما البناء الاقتصادي ، فهو يتطلب عملاً متواصلاً في صمت وبطولات لا مكان لها على أعمدة الصحف ، وفي الميادين العامة ..... وتحقيق هذا الهدف يتم بالاعتماد على النفس في صياغة النظريات ، والاعتماد على النفس في مواجهة التحدي الاقتصادي .» التخطيط والتنفيذ يجب أن يقوم بها العرب أنفسهم ، وأن يستوحوهما من واقع الأمة العربية من ناحية ، ومما تصبو اليه من ناحية ثانية .

* * *

ثم استعرضت الندوة نماذج من التجارب الاشتراكية في البلاد العربية ، وكان البحث الذي قدمه السيد كمال الدين رفعت عن التجربة الاشتراكية في الجمهورية العربية المتحدة رائعاً . فهو يرى ان الاشتراكية حركة تقدمية ، وان نجاح كل حركة تقدمية ، في تاريخ الانسانية مرهون بعناصر ثلاثة :

— أن تمتلك الحركة نظرية أو فلسفة واضحة المعالم لما تدعو اليه وان تكون دعوتها متفقة مع السير الحضاري للانسانية .

— أن تظفر هذه الدعوة باستجابة جماهيرية واسعة ، بحيث تصبح أملاً شعبياً وهدفاً عاماً يتجاوز الأفراد القلائل الى المجتمع الكبير .

— ان يكون للنظرية طليعة واعية بدورها ، مؤمنة برسالتها ، قادرة على القيادة والحركة ، ورسم الخطط القريبة والبعيدة .

ويرى السيد كمال الدين رفعت ان الحركة الاشتراكية المعاصرة في الوطن العربي تتطلب بالبداهة وحدة الوطن العربي . « ان الواقع العلمي يثبت ان

الوحدة في الوطن العربي شرط في نجاح الاشتراكية فيه ، بحيث ترتبط الوحدة والاشتراكية ارتباطاً لاسبيل الى الفصل بينهما . »

ويذهب السيد سليمان الخش وزير التربية في الجمهورية العربية السورية ، الى أبعد من ذلك ، في البحث الذي قدمه للندوة حول « الاشتراكية والوحدة العربية » . وقد نشرت « المعرفة » في هذا العدد خلاصة وافية لبحث الاستاذ الخش بقلمه .

* * *

من خلال هذا العرض السريع الانتقائي ، نلاحظ ان ندوة الجزائر الاشتراكية كانت ضرورية ، مفيدة ، وحافلة بوجهات نظر عديدة واحياناً متباينة . كان من الافضل ، كما قلنا ، أن تقتصر على بحث عدد من الموضوعات أقل مما حدث ، وأن تستنفد معالجتها بدلا من مقاربتها بسرعة . وكان من الافضل أيضاً أن يحدد منذ الآن موعد الندوة الثانية وموضوعاتها ، ليستعد لها المثقفون العرب التقدميون . وسنعود الى دراسة نقدية مطولة لهذه الندوة بعد أن تصل الى القارىء العربي نصوصها مطبوعة